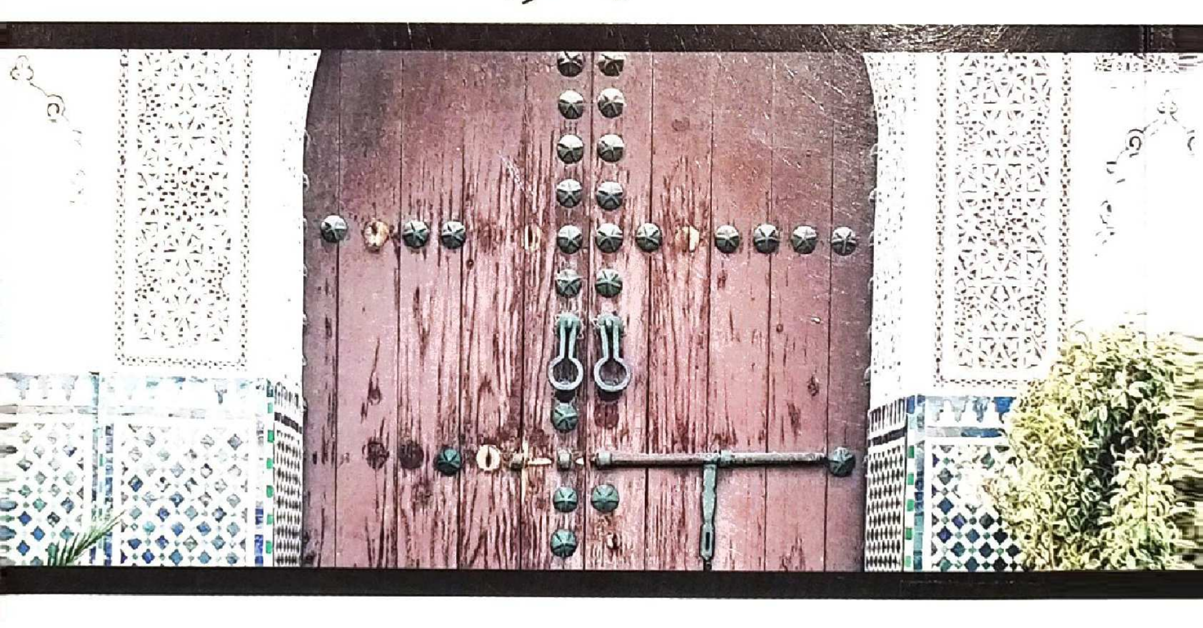


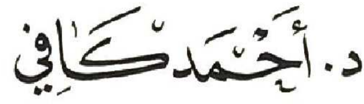
الفقيه محمد كنوني المذكوري

مفتي رابطة علماء المغرب

توفي يوم الجمعة ٢٦ محرم ١٣٩٨هـ/٦ يناير ١٩٧٨م

حياته وفقهه





أستاذ التعليم العالي للدراسات الإسلامية
المملكة المغربية




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفقيه

محمد كنوني المذكوري

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

بطاقة الفهرسة

كافي ، أحمد

الفقيه محمد كنوني المذكوري

مفتي رابطة علماء المغرب حياته وفقهه

تأليف / الدكتور أحمد كافي ، ط١ - المنصورة :

دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٠م

١٤٤ص ، ٢٤سم

رقم الإيداع : ٢٠١٩/٢٩٤٢٠

تدمك : ٩٧٨٩٧٧٣١١٦٤٧٨

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر - القاهرة

القاهرة - محمول : ٠١٠٠٩٧٠٧٤٩٥

E-mail:mmaggour@hotmail.com

E-mail:daralkalema_pdp@hotmail.com

www.facebook.com/DarAlkalema



الدار المغربية للنشر والتوزيع - المغرب

addaralmagheribia@hotmail.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفقيه

محمد كنوني المذكوري

مفتي رابطة علماء المغرب

توفي يوم الجمعة ٢٦ محرم ١٣٩٨هـ / ٦ يناير ١٩٧٨م

حياته وفقهه

د. أحمد كافي

أستاذ التعليم العالي للدراسات الإسلامية

المملكة المغربية

دار الكلمة
للنشر والتوزيع



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى الآل والصحابة والتابعين، ومن اهتدى بهديهم، واتبع ما كانوا عليه من العلم النافع والعمل الصالح، ونشره في الناس للانتفاع والاهتداء، والذين اختارهم الله أئمة ونجوما يهتدى بها حين يفتقد الناس هداتهم.

ثم أما بعد:

فإن التراجم للأئمة والعلماء والمفكرين ومن يقدم نفعا لهذه الأمة أو يقدم نفعا للإنسانية علم من العلوم الشرعية المعتبرة، اهتم بها صفوة العلماء والفقهاء وخيارهم، واجتهدوا في بيان منازل هؤلاء الأئمة الأعلام الغابرين السائرين بين الأحياء بمآثرهم وآثارهم ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (١)، وعملوا على إعلام الأجيال ما تركوه من المؤلفات والآثار في بطون الكتب والمظان، وما صنعوه من الشيوخ الذين تتلمذوا على أيديهم، وكانوا ثمرة لجهادهم الدعوي والتعليمي والتربوي.

وقد عُرف هذا العلم عند العلماء بعلم الرجال، يستطيع المطلع عليهم أن يعرف أقدارهم ومكانتهم في الدين والعلم، ولم يكن هذا العلم في متناول من تمكنت يداه من القلم والقرطاس، ولكنه يصله الرجال الكُمَّل في المعرفة والعلوم، الذين يستطيعون أن يزنوا الناس بميزان الذهب، وأن يتكلموا فيهم بعدل، لا تدفعهم رفعة خسيسة إلى القول فيهم ما لم يكونوا عليه، كما لم تدفعهم عدم المواطأة في المشرب أن يتقولوا عليهم، ويتورطوا في أن يذكروا من العيب ما لم يكن.

والترجمة للرجال والحديث عنهم نهج القرآن الكريم الذين تحدث عنهم، من أمثال حديثه عن الأنبياء والمرسلين حتى في أدق تفاصيل حياتهم الشخصية، أو حديثه عن عباد الله الصالحين؛ كلقمان ومريم عليهما السلام وغيرهما.

---

(١) يس: ١٢.

وقد جرت عادة القرآن الكريم عند الحديث في الغالب الأعم عن هؤلاء وتاريخهم وأعمالهم ووصفهم بالوصف الذي أطلقه العلماء علىٰ هذا العلم كما سلف الحديث عنه قبيل قليل، أن يقول عز من قائل: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]، ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3].

والحديث عن التراجم وإفراد الكتب والرسائل وتنظيم الندوات العلمية للعالِم تتحقق من ورائه المقاصد الآتية:

أولًا: تقديم النماذج الطيبة للأجيال والتي تغري بالنسج علىٰ منوالهم، وكيف حصلوا العلم والسلوك من جهة؟ وما هي طريقة اكتسابهما عندهم؟

ثانيًا: الاعتراف بجميل ما قدمه هؤلاء للناس، حتىٰ يعلم الشباب والكبار أن الأمة لا تعترف في تاريخها إلا بخط الصلاح في الأرض، ومن حقهم إبقاؤهم أحياء بآثارهم بعد أن أخلصوا للأمة في نصحها وتهذيبها.

ثالثًا: تنويع تراجم القدوات في المجالات المتعددة من الحياة، حتىٰ يجد كل باحث عن الفضيلة عاشق للمعالي سلفًا له ورموزًا تستحق الثناء والذكر الجميل والاتساء بهم.

إن مآثر الشيوخ لتبين عن فضائل جمة، منها:

---

(١) النور: ٣٧-٣٨.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) يس: ٢١.

✓ فضيلة البر بأهل العلم، ووصل أعمارهم بعمره، إذ كثيرا ما كانت الاستفادة منهم عند البعض متبوعة بالعقوق، عقوق التنكر عمن أسدىٰ خيرا في دروب إنارة العلم للناس.

✓ فضيلة عدم تضييع الرجل فيما حازه من العلم والجهاد، وقديما قال الشافعي رحمه الله : كان الليث بن سعد أفقه من الإمام مالك غير أن أصحابه ضيعوه.

والمضيعة التي وقعت لبعض أهل العلم قد وقعت الشكاة منها عند المؤرخين وطلبة العلم، الذين يجدون العَلَم شامخا، ولكنهم يفتقدون دلائل الشموخ التي ضيعها من جلس بين يديه.

وقد سبق أن نشرت تراجم عن كل من: الشيخ أبي شعيب الدكالي، والشيخ محمد الرافعي، والشيخ الرحالي الفاروق، والمختار السوسي، والفقيه محمد المنوني، كما كتبت عن الشيخ عبد الكريم مراد، والحاج علي زنيبر اللطام، وعبد الله بنسعيد السلوي، والمصلح أحمد الصبيحي السلاوي، وكانت رغبتي جامحة في الترجمة للفقيه مَحمد كنوني المذكوري منذ زمن بعيد، ثم شاءت الأقدار أن يكون الكنوني هو حديث اليوم، و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[1]، واليوم أمكنني الله تعالىٰ المحمود بدءًا وفي الختام أن أسطر كلمات عن الشيخ مَحمد كنوني المذكوري.

وأما المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر فقد كان يود أن يكون اجتماعنا اليوم علىٰ عدة أعلام كانت هنا في هذه المدينة المجاهدة، ثم استقر ـ كما في علمكم ـ النظر بعد تقليبه علىٰ عَلَم واحد، يراد من خلاله توفية الحديث عنه وإكرامه بتناوله من زوايا وجهات متعددة.

وإنها لمناسبة سارة إن كان لكل مجلس علمي هذه السنة عالما يختاره، فتؤذنون في أهل العلم أن يجتمعوا للتحلق حول علمه ودعوته وتربيته وآثاره،

---

(١) الحجر: ٦٥.

نرجو أن يكون لهذا الرجاء صدورا تنشرح له.

وبمناسبة الحديث عن الرجل (الفقيه المذكوري) يقف الباحث والعالم وطالب العلم أمام عالم فقيه لا يكتب لزمانه، وإنما يكتب لأمته.

كثيرون عندهم نفور من كل قول يخالف ما ألفوه أو ألفه الناس وما عاشوا وتنشؤوا عليه، ولكن العالم حقا، والفقيه صدقا هو الذي لا يتأثر بمحمدة أو مذمة، بل يمضي فيما اقتنع به أنه صالح لأمته لا يلتفت كما هي عادة الأنبياء: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[1]، إذا اقتنع وبانت له الأدلة لا يلتفت إلىٰ التعسف في تأويلها أو الدفاع عن فساد تأويله بالتدافع البارد، ومن البلاء أن تجد من أهل العلم من يقول ما لا يعتقد، ويعمل ضد قناعته.

ويتعجب المسلم كيف يلتفت أهل الحق عن حقهم، وأهل الباطل لا يقبلون من أحد أن يلتفت؟ ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾[2].

ولقد ذكر المولىٰ جلت قدرته أن إبراهيم أريد منه أن يلتفت فمضىٰ دون أن يلتفت، ففي صحيح البخاري: «**ثم قَفَّىٰ إبراهيمُ منطلقًا، فتبعتْهُ أمُّ إسماعيلَ، فقالت: يا إبراهيمُ، أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيهِ إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت لهُ ذلك مرارًا، وجعل لا يتلفتُ إليها**» الحديث[3].

وفي حديث سراقة عندما تبع النبي ﷺ مهاجرًا يريد جائزة قريش، قال: فركبت فرسي - وعصيت الأزلام - تُقَرِّبُ بي، حتىٰ إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ **وهو لا يلتفت**، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض، حتىٰ بلغتا الركبتين... الحديث[4].

---

(١) هود: ٨١، الحجر: ٦٥.

(٢) يونس: ٧٨.

(٣) صحيح البخاري: من حديث ابن عباس، حديث رقم: ٣٣٦٤.

(٤) صحيح البخاري: من حديث سراقة بن مالك بن جعشم، حديث رقم: ٣٩٠٦.

ومن حديث عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ اعتمر وكان بينه وبين أهل مكة أن لا يُخرج أحدًا من أهلها، فلما قضىٰ رسول الله ﷺ عمرته، خرج من مكة، فمر رسول الله ﷺ ببنت حمزة بن عبد المطلب فقالت: يا رسول الله، إلىٰ من تدعني؟ فلم يلتفت إليها؛ للعهد الذي بينه وبين أهل مكة ... الحديث(1).

كان الفقيه المذكوري يرىٰ حقا عليه أن يرجع إلىٰ أعلام الأمة علىٰ اختلاف مذاهبهم، فيجعلهم مصابيح لفتاواه وأقواله، لم يرض لنفسه أن يستضيء بمصباح واحد، بل رأىٰ أن أنوار الأئمة لا تتزاحم وإنما تزيد في الإبصار، ولم يلتفت إلىٰ قوارص الكلم التي ألفها البعض فأصبحت شنشتهم في مجال العلم، والتي يمكن أن تفوق سهامها إليه، وإن من يضيقون بذلك، يستحيل علىٰ الأمة أن تنتفع بمن هو ضيق الصدر ودينها واسع مبثوث في الأمصار والأقطار.

وكم انتفعت دول عربية بمذهب الإمام مالك ولها مذهب آخر، ووجدت عند أعلام المالكية من الوسع ما لم تجده في المذهب الذي اختارته، بل كم انتفع المغرب بمذاهب الفقه الإسلامي الأخرىٰ ولم يجد طِلبته في مذهب الإمام!

من ضاق صدره، ضاقت الأمة به، ولم تحتج إليه يوم حاجتها الماسة إلىٰ رحيم رؤوف:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها	ولكن أخلاق الرجال تضيق(2)

---

(1) إتحاف الخيرة المهرة: البوصيري: ٧/ ٢٢٦.

(2) من قصيدة جميلة لعمرو بن أدهم التي قال فيها:

وإِنِّي كريمٌ ذُو عِيالٍ تهِمُّنِي	نَوَائِبُ يَغْشَىٰ رُزْؤُها وحُقُوقُ
ومُسْتَنْبِحٍ بعدَ الهُدُوءِ دَعْوَتُهُ	وقد حانَ من نَجْمِ الشِّتاءِ خُفُوقُ
أَضَفْتُ فلم أُفحِشْ عليهِ ولم أَقُلْ	لِأَحْرِمَهُ: إِنَّ المكانَ مَضِيقُ
فَقلْتُ لَهُ: أهلًا وسهلًا ومَرحبًا	فهذا صَبُوحٌ راهِنٌ وصَدِيقُ

وكثيرًا ما قال أهل المذاهب: نأخذ بقول إخواننا[١].

كان الكنوني يتكلم انطلاقا من منهج واضح المعالم، ليس أن تقول ما يقوله الرجل في الفقه هو ما اهتم به؛ لأنه غير معقول ولا مقبول، ولكن أن يكون هناك منهج علمي في الفقه مؤسس على أركان متينة، فإن كان هناك من ثمرة خلافية، فوضعها الطبيعي حيث وضعها أهل العلم في كتب الخلاف، وإن كانت الأخرى فتلك هي التي لا يودها طالب علم أو معدود في زمرة العلماء.

فنرجو العلي القدير أن نكون من الداعين ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٢]، كما نرجو أن نكون بهذا الذي بذلنا الوسع فيه سنة حميدة؛ لينهض إخواننا للتعريف بعلماء المغرب للمغاربة والمشارقة على حد سواء.

فماذا عساني أقول، وهل سأهدي التمر إلى هجر؟! وبينا في هذا الجمع المبارك معاصروه ومن تتلمذ على يديه، غير أني سأستعين بالله تعالى وبتوفيقه؛ لكي أقول بعضا مما لم يذكر عنه رحمه الله تعالى.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، آمين، آمين.

ذَرِينِي فَإِنَّ البُخْلَ يَا أَمَّ هَيْثَمٍ ... لِصَالِحِ أَخلاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
وكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بالقِرَىٰ ... ولِلْخَيْرِ بينَ الصَّالحينَ طَرِيقُ
لَعَمْرُكَ ما ضَاقَتْ بِلادٌ بأَهْلِهَا ... ولكنَّ أَخلاقَ الرِّجالِ تَضِيقُ

(١) عن أبي يوسف أنه صلىٰ يوم الجمعة مغتسلا من الحمام، وصلىٰ بالناس وتفرقوا، ثم أخبر بوجود فأرة ميتة في بئر الحمام. فقال: إذًا، نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة؛ إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثًا.
وصلىٰ الإمام الشافعي رحمه الله الصبح قريبا من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله، فلم يقنت تأدبا معه، وقال أيضا: ربما انحدرنا إلىٰ مذهب أهل العراق، وكان الإمام أحمد بن حنبل يرىٰ الوضوء من الرعاف والحجامة، فقيل له: إذا كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، هل تصلي خلفه؟ فقال: كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب؟!

(٢) الحشر: ١٠.

الفصل الأول
الفقيه محمد كنوني المذكوري

١- حياته:

هو الفقيه المجاهد، الحاج محمد بن الحاج محمد بن العربي بن سعيد المذكوري كنوني الصباحي الزيداني[(١)]، من مواليد عام ١٣١٥هـ الموافق لعام١٨٩٧م[(٢)].

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، كما حفظ خلاصة ابن مالك ومختصر الشيخ خليل، ليرحل في طلب العلم بعد ذلك، فانتقل إلىٰ قبائل: «زناتة»، «وأولاد سيدي بن داود»، ثم شد الرحال إلىٰ مدينة فاس بعيد عام١٣٣٠هـ.

تربىٰ في بيت عز وأنفة وشموخ، فقد كان والده الحاج محمد بن العربي بن سعيد بطل «المذاكرة» مع القائد المجاهد الأحمر ولد منصور، وسافرا معا صحبة أربعة من قبيلة «المذاكرة» إلىٰ فاس واجتمعوا مع المولىٰ عبد الحفيظ، ثم أدركت والده الوفاة بعد مرض ألَمَ به سنة١٩٢٣م، وكانت آخر وصاياه لأم أولاده وأولاده ومنهم الفقيه المذكوري: «ليس ابني من يضيف نصرانيا»[(٣)].

حلاه الأستاذ محمد حجي في (موسوعة أعلام المغرب) عند الحديث عن وفيات عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف بالقول: «العلامة المدرس، كان من دعاة السلفية في دروسه ووعظه، عضوا عاملا في رابطة علماء المغرب، ومن قدماء العاملين في الحركة الوطنية»[(٤)].

---

(١) كنوني: نسبة إلىٰ دوار الكنانة بجماعة أولاد زيدان. الصباحي: نسبة إلىٰ أولاد صباح وهو أحد البطون الثلاثة المكونة للمذاكرة. والزيداني: نسبة إلىٰ أولاد زيدان، وهي أحد الفخدات المكونة لأولاد صباح. وسيأتي الحديث عنها بالصورة.

(٢) أي أنه عاش ثلاثة وثمانين عاما.

(٣) صحيفة: ميثاق الرابطة، عدد٢٦٥، بتاريخ فاتح ربيع الأول١٣٩٨هـ.

(٤) موسوعة أعلام المغرب: ٩/ ص٣٤٧١.

وهكذا نجد أوصافه التي عرف بها في حياته وعرفه الناس بها، ودونوا هذه المعرفة، هي:

- **العلامة المدرس**: أي أن اشتغاله كان بالتدريس التي هي علامة من علامات الربانيين[1]، وهو تدريس العلم عن علم يصدر عنه، لا عن جهل أو شبهه.

- **داعية سلفي**: أي أنه من الذين يتمسكون بالدليل ويعملون على وفقه من ناحية، ومحاربة كل أشكال الانحراف العقدي وغيره، وهي نفس شهادة صاحب تتمة الأعلام للزركلي: «وكان من دعاة السلفية»[2].

حيث لم يكن رحمه الله تعالى وهو المجاهد المقاوم يخفي ويتستر بمذهبه كما هي عادة من يتلصص على دنيا الناس بمتابعة كل واحد في مشربه، وكان يرى دينا عليه أن يصدع بسلفيته، ففي الفتوى المتعلقة بعدة قضايا فقهية، قال: «نعم، نحن من أنصار السنة ومن الداعين إليها»[3].

- **عضو عامل بمؤسسة دينية**: وفي هذا إشارة إلى وجود منتمين إلى مؤسسات لا يعملون ولا تسمع له ركزا ولا أثرا، همهم أن يكونوا في مكان يتشرفون به، لا أن يتشرف المنصب بهم من خلال أعمالهم وآثارهم.

- **عامل بالحركة الوطنية**: أي أنه كان من حماة الديار كما كان من حماة الدين، فدافع بالسنان أو حرض المؤمنين عليه ووجههم إلى أفضاله، كما جاهد بلسانه وقلمه ودروسه ومواعظه، ولم يكن من العاملين الملتحقين في الأشواط الأخيرة، بل له قدم سابقة في الجهاد الوطني، وهذه منقبة ينبغي أن تعلم؛ لأنه في زمن

---

(١) من علامات الربانية الاشتغال بالتحصيل والتدريس، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

(٢) تتمة الأعلام للزركلي: ٢/ ص٢١٢.

(٣) الفتاوى: ص٥٢.

التمحيص تتبين معادن الرجال، ويظهر عند ظهور ملامح الصراع من يسارع إلىٰ الالتحاق في الأخير: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾[(١)].

وحين نظم أخوه الحاج أحمد المقاومة عام١٩٢٦ بـ«المذاكرة»، نفته سلطة الاحتلال إلىٰ الدار البيضاء، ثم أتبعته الفقيه إلىٰ الدار البيضاء، فلما اقتسما مهمة الجهاد في الدار البيضاء، قامت بنفي الفقيه إلىٰ مدينة سطات حوالي عام١٩٥٣، قضىٰ فيه سنتين[(٢)].

وقد حلاه البعض عند الترجمة له بالقول : «عالم مجاهد ... من قدماء العاملين في الحركة الوطنية، أوذي في سبيل ذلك وسجن»[(٣)].

وها هنا قضية أخرىٰ بالإضافة إلىٰ ما سبق ذكره، وهو أنه امتحن وأدخل مدرسة يوسف ﷺ، فأخذ نصيبه من السجن علىٰ آرائه ومواقفه.

التحقيق في اسمه:

وجدت في كتاب الفتاوىٰ علىٰ ظهر الغلاف تعريفه بأنه: مَحمد (فتحا لا بالضم) كنوني المذكوري، وهو التعريف الذي تقرر في كتب التراجم.

فأما مَحمد المذكوري الزيداني، فهو تعريف عرف به الرجل نفسه، في غير ما مرة، ففي مقدمة نظم البلاغة قال:

الحمد لله الذي قد أنعما — صلىٰ علىٰ رسوله وسلما
وآله وصحبه الأبرار — أهلِ البلاغة والاختصار
يقول راجي رحمةِ الرحمن — مَحمد المذكوري فالزيداني

(١) الفتح: ١٥.

(٢) صحيفة: ميثاق الرابطة، عدد٢٦٥، بتاريخ فاتح ربيع الأول١٣٩٨هـ.

(٣) تتمة الأعلام للزركلي: ٢/ ص٢١٢.

وفي نظمه لأصول الفقه قال في بداية نظمه:

يقول من سطر بالبنانِ مَحمد المذكوري فالزيداني

وفي نظمه لمصطلح الحديث قال في خاتمته:

قد انتهىٰ نظم الفقير الفانِي مَحمد المذكوري فالزيداني

فهذا هو تعريفه الثابت عندي بقلم صاحبه وما سطره.

غير أنه قد كتب علىٰ ظهر غلاف كتابه الفتاوي: بقلم المرحوم برحمة الله مَحمد كنوني المذكوري أسدل الله عليه سحائب رحمته وأسكنه فسيح جناته.

وكان اعتقادي أن ذلك من عمل النساخ والمطبعيين، غير أن هذا الوهم قد تبدد بيقين ما هو مسطر في ظهر الغلاف، بل ومن خلال مقدمته لكتابه، إذ بعد حمده الله والثناء عليه وعلىٰ رسوله ﷺ، قال معرفًا بنفسه وهو أعرف بها من غيره: «أما بعد، فيقول الفقير إلىٰ الله **مَحمد بن محمد العربي كنوني المذكوري**، كان الله له وليا»[1]، وعند جوابه عن قراءة القرآن الكريم بالصفة الجماعية، وبعد أن بيّن في فتواه الحكمَ اللازم لها، ختم بالقول: «قاله وكتبه قليل الاطلاع، قصير الباع، راد العلم إلىٰ الله، **مَحمد كنوني المذكوري**»[2].

وفي تقديم الأمين العام لرابطة علماء المغرب، حلاه بالقول: «والآن يقوم بهذه المهمة فضيلة **العلامة سيدي الحاج مَحمد كنوني المذكوري**»[3].

وهكذا يتضح أن اللقب (كنوني) قد اجتمع علىٰ القول بصحة النسبة إلىٰ الفقيه المذكوري:

١ ـ شهادة المؤرخين المحققين، كما عند عبد القادر بن سودة في كتابه «إتحاف

(١) الفتاوىٰ: ص٧.

(٢) الفتاوىٰ: ص١٤٤.

(٣) الفتاوىٰ: ص٦.

المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع»[١]، وعند محمد حجي في كتابه: «موسوعة أعلام المغرب»[٢]، وعند محمد خير رمضان يوسف في كتابه «تتمة كتاب الأعلام للزركلي»[٣].

٢ـ شهادة أقرب الناس إليه وأعرفهم به، وهو الأمين العام لرابطة علماء المغرب الشيخ عبد الله كنون كما مر معنا في تقديمه لكتابه «الفتاوىٰ».

٣ـ تصريح المعني بالأمر، وهو الفقيه المذكوري نفسه عند التصريح بذلك في المواطن الآتية:

* في مقدمة كتابه الفتاوىٰ ص٧.

* في موطن واحد من فتاواه، ص١٤٤.

وتأكد لي بعد ذلك أن الكنوني: نسبة إلىٰ دوار الكنانة بجماعة أولاد زيدان بقيادة المذاكرة الجنوبية، وذلك في دائرة الكارة اليوم[٤].

وبه يتبين أن كلتا التسميتين:

- مَحمد كنوني المذكوري[٥].
- مَحمد المذكوري.

---

(١) الجزء٢/ ص٦٣٥.

(٢) ٩/ ص٣٤٧١.

(٣) تتمة الأعلام الزركلي: ٢/ ص٢١٢.

(٤) تنقسم المذاكرة اليوم إلىٰ قسمين: المذاكرة الشمالية وهي تابعة لإقليم ابن سليمان. والمذاكرة الجنوبية، وتضم جماعة أولاد صباح وأولاد زيدان، وأصبحت أولاد زيدان اليوم جماعة مستقلة بذاتها في إطار التقطيع الإداري الجديد.

(٥) وردت هذه التسمية أيضا في كتاب: تتمة الأعلام الزركلي: لمحمد خير رمضان يوسف. كما وردت في كتاب: موسوعة مواقف السلف: ١٠/ ص٦٨.

صحيحتان عند التعريف به، وهما متأكدتان ثابتتان من خلال كلام الرجل عن نفسه بإثباتهما معا، ومن خلال العالم المؤرخ عبد الله كنون في إضافة كنوني إليه.

وعموما فالرجل بعلمه وإيمانه وتقواه وما خلفه من العلم النافع للناس، وليس من جهة حسبه ونسبه، كما هو متيقن عندنا في الدين.

قبيلته:

وأما المذكوري: فنسبة لقبيلة مشهورة في المغرب تدعىٰ المذاكرة المنتمية إلىٰ قبائل الشاوية، وتضم قبائل الشاوية ١٣ قبيلة، وهي:

١) قبيلة زناتة .

٢) قبيلة مديونة .

٣) قبيلة أولاد زيان .

٤) قبيلة أولاد حريز .

٥) قبيلة الزيايدة .

٦) قبيلة المذاكرة .

٧) قبيلة أولاد علي .

٨) قبيلة المزامزة .

٩) قبيلة أولاد بوزيري.

١٠) قبيلة أولاد سيدي بنداود .

١١) قبيلة مزاب.

١٢) قبيلة الأعشاش .

١٣) قبيلة أولاد سعيد .

وأما الزيداني: فهي بطن من بطون قبيلة المذاكرة، وقبيلة المذاكرة : قبيلة شاوية سهلية تابعة لاتحادية قبائل الشاوية، وهي موطن مدينة الكارة اليوم، ويحدها شرقا قبيلة اتحادية قبائل زعير، وشمالا قبيلة أولاد علي، وغربا قبيلة أولاد حريز، وجنوبا قبيلتي الأعشاش ومزاب.

وتضم قبيلة المذاكرة مجموعة من البطون وهي:

أولاد صباح، وتشتمل على ٩ فخدات :

١. الزبيرات.
٢. أولاد فايدة.
٣. أولاد عطية.
٤. أولاد زيدان.
٥. أولاد قـرة.
٦. معاتقة.
٧. مزورة.
٨. العثامنة.
٩. الكرارمة.

الأحلاف، وتشتمل على ٣ فخدات:

١. أولاد حسن.
٢. أولاد جيش.
٣. الزكارنة.

مليلة ، وتشتمل على ٨ فخدات:

١. أولاد صلاح.

٢. أولاد عيسىٰ.

٣. التروش.

٤. أولاد موسىٰ.

٥. أوزيخة.

٦. الخبزيين.

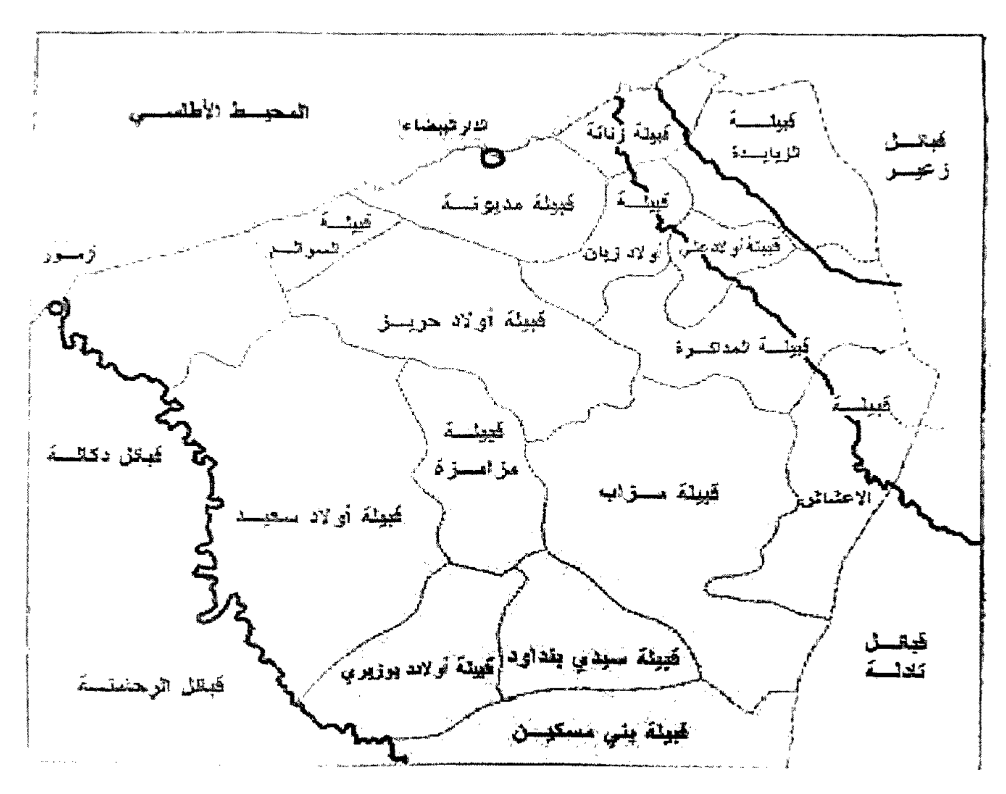
٧. أولاد وهب.

٨. أولاد علي.

وعليه: فالفقيه المذكوري يرجع مسقط رأسه إلىٰ إحدىٰ قبائل الشاوية، وهي قبيلة المذاكرة، ومن أحد بطون هذه القبيلة وهي بطن أولاد الصباح، ومن فخدة من هذا البطن، وهي فخدة أولاد زيدان.

وقد خلف الفقيه المذكوري عدة أبناء، منهم: الدكتور عبد المومن وهو طبيب بيطري، ومحمد وهو فلاح، وبوشعيب وكان عسكريا تقاعد وأصبح مديرا لمدرسة عمر الفاروق، وبنت وهي محامية بهيئة الدار البيضاء ... إلخ.

خريطة تبين قبيلة المذاكرة وسط قبائل الشاوية



ولست أملك من خلال ما اطلعت عليه من كتب التراجم شيئا كبيرا عن عمود نسبه، ويكفيه فخرا نسبه العلمي الذي يصل به أرحام العلماء وطلاب العلم في زمنه وعبر كل الأزمان.

شيوخه:

لم يتيسر لنا أن نتعرف علىٰ شيوخ الفقيه مَحمد المذكوري؛ بسبب إهمال المترجمين له، وبسبب عدم وجود فهرسة مكتوبة من طرفه إلا بشق الأنفس، لقد وجدت بعد عناء علىٰ شيوخه بالإبهام عندما تعرض لزكاة مال الأحباس علىٰ بناء مسجد، قال: «وقد ناقشه (يقصد الرهوني) في ذلك مُخْتصِرُه شيخ شيوخنا العلامة كنون»[1].

(١) الفتاوىٰ: ص١٧٠، والمقصود بالعلامة كنون: أبو محمد التهامي بن المدني بن علي

وحيث إنه نص علىٰ أن له شيوخا، ونظرا لقلة الترجمة للفقيه المذكوري، وهذا القليل لا يتعدىٰ الإشارة إليه وإلىٰ وفاته وأنه كان مفتيا لرابطة علماء المغرب، كان العزم أن أتتبع ما كتبه هو بنفسه عليَّ أجد شيئًا من الذكر لهم، وبالفعل فقد تحصل لي من خلال قراءة ما بين يدي من كتبه علىٰ شيوخه الآتية أسماؤهم:

١ ـ انتفاعه بشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي:

انتفع مَحمد كنوني رحمه الله تعالىٰ بشيخ إسلام المغرب وإمام الحرمين الشريفين الشيخ أبي شعيب الدكالي أيما انتفاع، وأكد هو علىٰ دور هذا الإمام في رسم خِطة في العلم الشرعي لطلبة العلم من أمثاله، وكيف أنجاهم الله تعالىٰ بهذا الإمام المصلح الذي وجد التقليد قد دفع الناس لرد النصوص الشرعية اللاحبة، فقال وهو يشرح هذه البلية ودور الشيخ في السعي في إماتتها بنشر ما صح من أصول الدين وفروعه: «فليتأمل المتأمل المنصف ذلك، وليقس عليه أفعال الناس اليوم وأقوالهم من ملازمتهم لهذا التقليد الأعمىٰ حتىٰ ولو خالف الكتاب والسنة، وهذا الشيء عشناه وشاهدناه ولم نجد أيام دراستنا إلا مثل هذا التقليد[1]، إلىٰ أن قيض الله تعالىٰ لهذا الشعب المغربي النبيل أحد أبنائه البررة **الإمامَ شيخَنا** وشيخَ الإسلام المحدثَ الحافظَ أبا شعيب الدكالي رحمه الله وجزاه خير ما يجزىٰ به كل مصلح، فقد كانت دروسه بردا وسلاما علىٰ قلوب المنتبهين والحائرين وجحيما علىٰ المقلدين الجامدين، حيث حمل علىٰ البدعة والتقليد

كنون، كان معروفا بالصلاح والاهتمام بكتب السنة. من مؤلفاته: أقرب المسالك إلىٰ موطأ الإمام مالك، مختصر حاشية الرهوني علىٰ خليل. توفي عام: ١٣٠٢هـ. انظر ترجمته في الفكر السامي: ٢/ ص٣٠٢ ـ ٣٠٤.

(١) هذا دليل قوي علىٰ وجود شيوخ له من المقلدة قد جلس إليهم، ولكن السؤال: من هم هؤلاء؟

وندد بأصحابهما أيما تنديد، فانبثقت من دروسه عدة دروس، اشتاقت لسماعها الكثير من النفوس، وخفقت أعلام السنة في المدن والبوادي، وغنىٰ لها كل من الرائح والغادي، وأدبرت فلول البدعة تتعثر في أثواب الخجل والوجل، وتمت كلمة الله ﷻ، فله علىٰ هذا الشعب الفضلُ العظيم، وسيلقىٰ جزاء ذلك عند الله الغفور الرحيم، فزالت بذلك عن كثير من القلوب الغباوة، وعن أعين الكثير الغشاوة»[١].

وعن العلامة المجدد الشيخ أبي شعيب الدكالي أخذ علم الحديث، وأخذ عنه حديث عاشوراء يوم عاشوراء مسلسلا، فاستظهره أمامه[٢].

٢ ـ الشيخ المهدي الوزاني :

وقد ورد ذكره في فتاواه مرتين بالتأكيد علىٰ مشيخته له وأخذه عنه:

الأولىٰ: وهو وإن كان يخالفه في المشرب والمنزع، ويؤكد علىٰ هذه المخالفة في فتاواه، ولكنه لا يتنكر للتحصيل علىٰ يديه، ويذكره ويحليه بأوصافَ غايةً في الأدب، نعزز قولنا هنا بما ورد في فتواه رحمه الله عن الذكر عند حمل الميت[٣] قال: «كما وقفت علىٰ تقييد **لشيخنا** المرحوم العلامة الشيخ المهدي الوزاني يرد فيه علىٰ تقييد الشيخ الرهوني المذكور»[٤].

الثانية: عند جوابه عن الحبس علىٰ الذكور والإناث، هل يقسم بينهم علىٰ التساوي أم علىٰ التفاضل؟

فقرر أنه علىٰ التساوي ما لم يُنص في العقد علىٰ التفاضل، وأسند هذا القول

---

(١) الفتاوىٰ: ص١٨٨. عند جوابه عن فتوىٰ حول الاجتهاد وقول من قال بانقطاعه.

(٢) صحيفة: ميثاق الرابطة، عدد٢٦٥، بتاريخ فاتح ربيع الأول١٣٩٨هـ.

(٣) ستأتي معنا هذه المسألة إن شاء الله تعالىٰ عند الحديث عن فقهه رحمه الله تعالىٰ.

(٤) الفتاوىٰ : ص٣٠ـ٣١.

إلىٰ الفشتالي في وثائقه، وابن العطار والتاودي، ثم قال: «ومثل ذلك في نوازل **شيخنا** الوزاني رحمه الله»[(١)].

وإذ وجدت من شيوخه شيخ الإسلام أبا شعيب الدكالي، والعلامة المهدي الوزاني، فلن يبعد أن يكون بعض أقران هذين العلمين في تلكم الفترة الزمنية هم شيوخه في التحصيل والطلب، غير أننا لا نملك أسماءهم بالتحديد.

وبالفعل عثرت أثناء تصفحي لأعداد قديمة من صحيفة ميثاق الرابطة بعيد وفاته أن شيوخه أعجبوا به كثيرا، ومنهم بالإضافة علىٰ العلمين الشامخين الكبيرين الذي نص عليهما بنفسه، الأعلام الآتية[(٢)]:

٣ـ العلامة شيخ الجماعة سيدي أحمد بن الخياط الزكاري(ت١٣٤٣هـ): عالم المغرب، درس عليه فقيهنا: المختصر بالزرقاني، والنحو والأصول.

٤ـ قاضي الجماعة بفاس السيد محمد بن رشيد العراقي(ت١٣٤٨هـ): درس عليه الفقه، ومتن المدونة، في وقت كان تدريسها نادرا ومنعدما، كالكبريت الأحمر.

٥ـ العالم سيدي محمد بناني(ت١٣٤٤هـ): إمام جامع الديوان، العلامة المشارك، المدرس النفاعة.

٦ـ العالم سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري(ت١٣٥٢هـ) شيخ الجماعة، الذي كانت له اليد الطولىٰ في جل العلوم العقلية والنقلية.

٧ـ العلامة الشريف مولاي عبد الله بن إدريس الفضيلي(ت١٣٦٣هـ).

٨ـ سيدي محمد بن المُحَشِّي سيدي أحمد بن الحاج(ت١٣٦٤): أخذ عنه الفقه والحديث.

---

(١) الفتاوىٰ: ص١٤٨.

(٢) صحيفة: ميثاق الرابطة، عدد٢٦٥، بتاريخ فاتح ربيع الأول١٣٩٨هـ.

٩ـ كما أخذ عن الحافظ مولاي أحمد البلغيثي(ت١٣٤٨هـ): القاضي الذي لا يهاب، أقام سنة اللعان عند قضائه في مدينة مكناس فكان منقبة له.

١٠ـ سيدي محمد بن عبد الرحمن العراقي(ت١٣٩٨هـ): وقد كان رحمه الله تعالىٰ من أعز أصدقائه وأساتذته.

١١ـ سيدي عباس بناني(١٣٩٢هـ): المدرس الأصولي المفتي، صاحب اليد الطولىٰ في الإفتاء.

١٢ـ العلامة الكبير، الوزير سيدي عبد الرحمن بن القرشي الإمامي (١٣٥٨هـ): درس عليه صحيح مسلم.

١٣ـ وعن الشيخ عبد الحي الكتاني: درس علم الرواية في الحديث.

تلاميذه:

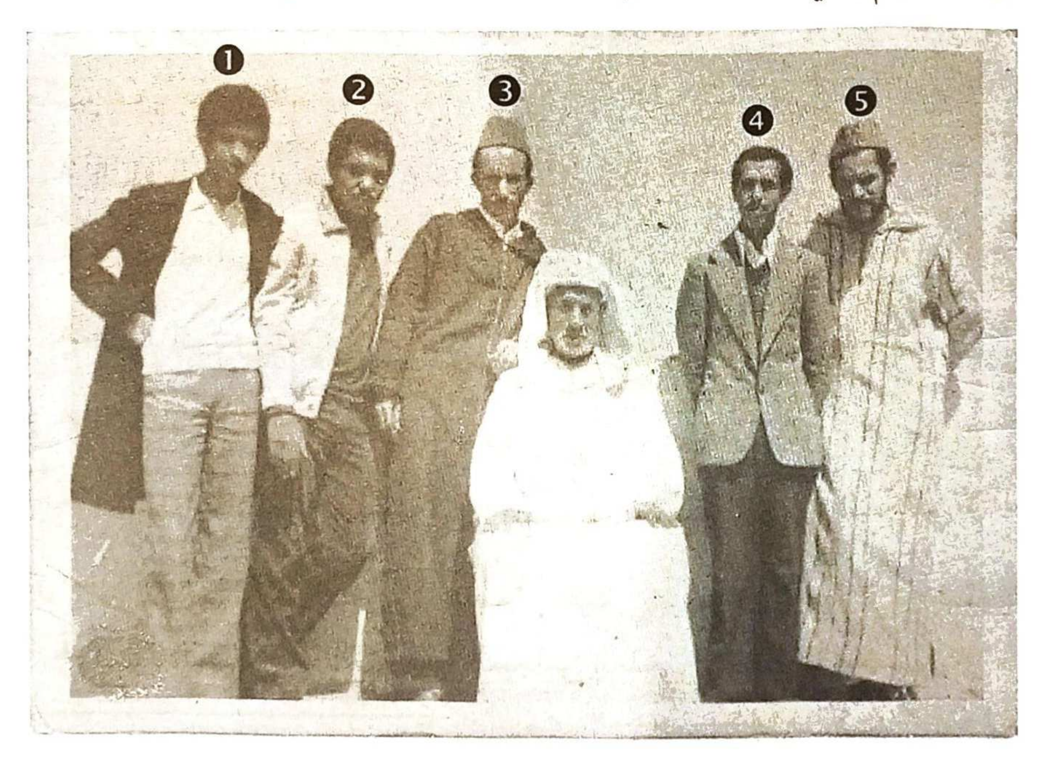
كل من عرفه وعاصره قد حدثنا أن من تلاميذه المشهورين الذي كانوا يجالسونه ويأخذون عنه[1]، هم:

- السيد القاضي برهون.
- السيد العياشي المنصوري دفين المدينة المنورة.
- السيد إدريس الجاي.
- الأستاذ علال أحمد بشر.
- السيد عبد السلام المتوكل: عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر.
- السيد الحسين مفراح: رئيس المجلس العلمي المحلي للمحمدية.

(١) حدثنا بهذا من طرف: الشيخ محمد زحل، والسيد حسن أمين الهلالي، والسيد القاضي برهون.

- السيد إبراهيم الوافي: رئيس المجلس العلمي لأكادير.
- السيد محمد الدفالي المراكشي.
- السيد محمد صابر: أمين العدول بمدينة الدار البيضاء، موثق بمدينة المحمدية.
- السيد محمد دوينير: عدل.
- السيد عبد الله وعزيزي: مدرس بمدرسة الفلاح.
- السيد إدريس الراشدي: مدير مدرسة ابن تيمية بحي مبروكة بالدار البيضاء.
- السيد عبد السلام الوزاني: داعية.

وأخلصهم به في حلقاته العلمية الخاصة هما الاثنان الأولان.



الشيخ المذكوري محاطا بتلامذته، وهم:

❶ السيد إبراهيم الوافي: رئيس المجلس العلمي لأكادير.

❷ السيد الحسين مفراح: رئيس المجلس العلمي للمحمدية.

❸ السيد عبد السلام المتوكل: عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر.

❹ السيد

❺ السيد

وظائفه:

تقلب الفقيه المذكوري في عدة وظائف، منها:

* **العدالة**: وقد زاول خطة العدالة بمدينة سطات، وكان القضاة يكلون إليه أمر الأحكام، كما كان يدرسه لأقرانه العدول، غير أن استنباطاته الأحكام للنوازل التي كانت وكلت إليه قد ضاعت يوم ألقىٰ الفرنسيون القبض عليه، فبعثروا مكتبته، وأضاعوا إنتاجاته وإجازاته[1].

* **القضاء**: وقد تولىٰ أمر القضاء الشرعي بنواحي بني ملال.

* وكان من أصدقائه الخلص في هذا الميدان القاضي محمد البوزيري، الذي كان قاضيا بمدينة وجدة، وتخرج مع الفقيه من القرويين.

* **الفلاحة**: وكان يزوالها بنفسه اقتداء بالسلف الصالح في الاحتراف.

* **التدريس**: وهذه معلومة من خلال المدارس العلمية التي درس بها، ومن خلال الدروس العلمية وغيرها التي كان يحضرها طلبته.

* أحد أعضاء المجلس العلمي الأعلىٰ للدار البيضاء: وكان هذا المجلس يضم في المرة الأولىٰ كلا من السادة[2]:

---

(١) صحيفة: ميثاق الرابطة، عدد٢٦٥، بتاريخ فاتح ربيع الأول١٣٩٨هـ.

(٢) هكذا وردت أسماؤهم في صحيفة الميثاق، ميثاق الرابطة، عدد١٤٦، بتاريخ:١ ذي

- ✓ الحاج محمد مفضال السرغيني.
- ✓ الحاج محمد الشاتي.
- ✓ الحاج محمد كنوني المذكوري.
- ✓ الحاج محمد لين.
- ✓ السيد أحمد العمري.
- ✓ السيد أحمد التباع.
- ✓ السيد محمد المعتمد.
- ✓ السيد حسن أمين.
- ✓ الفقيه الهيثمي.
- ✓ الحاج الحسين وجاج.

وفي المرة الثانية كان يضم كلا من السادة[1]:

- ✓ سيدي محمد بن عبد الله العلوي.
- ✓ الحاج محمد كنوني المذكوري.
- ✓ محمد مفضال السرغيني.
- ✓ محمد الشاتي.
- ✓ عبد الله راغب.
- ✓ محمد المعتمد.

القعدة١٣٩١هـ، الموافق لـ١٩ ديسمبر عام١٩٧١م.

(١) هكذا وردت أسماؤهم في صحيفة الميثاق، العدد٢٤٨، بتاريخ:١ جمادى الثانية عام١٣٩٧هـ، الموافق ل:٢٠ ماي١٩٧٧م.

- ✓ حسن أمين.
- ✓ الدكتور التهامي الداني.
- ✓ التباع بن أحمد.

عقيدته:

أما عقيدته رحمه الله تعالىٰ فهي عقيدة سنية نقية، كان رحمه الله تعالىٰ ينطلق وينطلق من عقيدة أهل السنة والجماعة، يرفض الشرك والبدعة والخرافة والشعوذة وعلل الأديان، وفتاواه في باب العقيدة ناطقة بعقيدته: كفتواه حول بناء القبب علىٰ المقابر، والاستسقاء عند ضريح ولي من الأولياء.

كان رحمه الله تعالىٰ لا يقبل الكذب باسم الدين، ويرفض الدعاوىٰ المفسدة لعقيدة المسلمين، كما هو جلي في رده الطويل علىٰ منشور الشيخ أحمد حامل مفاتح حرم رسول الله ﷺ، وادعائه أمور غيبية، وأمر بنشرها أو التعرض لغضب الله وسخطه وبلائه[1].

وقد رد عليه طويلا، مفندا كذبه واحدة واحدة.

مؤلفاته:

ترك الشيخ بين أيدي الناس ميراثا جميلا، وعملا مبرورا نعتبره من الحسنات الدائمة (أو علم ينتفع به)، وبالإطلالة علىٰ هذه المؤلفات نجدها تنقسم إلىٰ قسمين:

الأول: المؤلفات المفقودة:

وهي خمسة، عناوينها كالآتي:

١. الاستماع إلىٰ أحكام الرضاع.

---

(١) الفتاوىٰ: ص٢١٦.

٢. كتاب التحريف و التدجيل في كتابي التوراة والإنجيل.

٣. فتح الإله في توحيد ووجوب وجود الإله.

٤. أقوم دليل و أوضح منهاج في إرشاد المعتمر و الحاج.

٥. ديوان شعري وقصيدة مؤلفة من ستمائة بيت[١].

وهي وإن كانت لا تزال مفقودةً لم تتداولها أيدي طلبة العلم ولكن موضوعها بارز من عناوينها:

* الرضاع.

* تحريف الكتابين السماويين: التوراة والإنجيل.

* وجود الله وتوحيده.

* أحكام الحج والعمرة.

وودنا لو كانت متيسرة لنرىٰ هل فيها شيء جديد، أو عبارات ميسرة واضحة معبرة عن المقصود، أو غيرها من المعاني التي يمكن أن يكون الرجل قد انفرد بها؟ ومن يدري لعل الله تعالىٰ ادخر ذلك لغير جيلنا.

الثاني: المؤلفات الموجودة:

وهي اثنا عشر، عناوينها هي:

١. **الفتاوىٰ**، والصادرة عام٢٠٠١م، من غير ذكر للدار ولا الطبعة.

وللأسف الشديد لم نتوصل بعد البحث والتنقيب إلا لكتابه الأخير: الفتاوىٰ، ولكم هو ودنا أن يتكرم الإخوة من أهل العلم وطلبته ممن عنده شيء من آثاره العلمية أن يعمل علىٰ الإكثار من نشرها بكل وسائل النشر الميسورة غير المكلفة، فسيقيض الله تعالىٰ من يحسن إخراجها وإعادة طبعها؛ حتىٰ تقف الأجيال علىٰ

(١) تقلا عن صحيفة: ميثاق الرابطة، عدد٢٦٧، بتاريخ ربيع الأول١٣٩٨هـ.

المنهج العلمي والتربوي والدعوي عند الشيخ المذكوري، وتقف عند تفكيره وأصول هذا التفكير، خصوصا أن على ظهر كتابه الفتاوىٰ وردت العبارة الآتية: سيظهر قريبا للمؤلف، وذكرت عناوين الكتب الموعود بظهورها ولم تظهر بعد.

٢. نظم في علم أصول الفقه:

وقد استغرق نظمه لها يومين كاملين كما أخبر هو بذلك عند ختمه لمنظومته بقوله:

مكثت في نظمي لها يومين بفضل الله القادر المعين

وهذا دليل علىٰ تمكنه من هضم المادة العلمية حتىٰ سارت مطواعة بين يديه نظما، فضلا عن التعبير عنها نثرا، وفي مدة قصيرة كاليومين، بينما يمضي آخرون شهورا وسنوات في مثل ما قام به، وتقع في ثمانية ومائتي بيت (٢٠٨).

٣. نظم في مصطلح الحديث:

وتقع في تسع وثلاثين بيتا (٣٩).

٤. نظم مختصر في علم البلاغة الواضحة: وتقع في أربعة وسبعين ومائتي بيت (٢٧٤).

وقد ختم نظم البلاغة وهو في كرب شديد سببه ما ألمَ بأمته الإسلامية من نكسة مع اليهود، فأثرت النكسة فيه تأثيرا أقعدته مرضا، فكان بالغًا ما وقع من هول، حتىٰ بكىٰ من المصيبة وهو في أيام العيد، يقرر هذه الحالة وهذا الظرف بقوله رحمه الله تعالىٰ:

ختمته في ثاني يوم عيدِ من حجة وفي كرب شديد

فالدمع قد جرىٰ علىٰ الخدود من نكسة أتت من اليهودِ

فلترحم اللهم حال ضعفنا عند انهزامنا وحال خُلفنا

ولتطـرد العـدو مـن أوطاننـا ولترفـع المحـن عـن إخواننـا

حتـىٰ نـرىٰ الإسـلام في الـصعود هنـا يطيـب لنـا كـل عيـد

هذه الخاتمة منبئة عما يلي:

➤ اهتمامه رحمه الله تعالىٰ بأحوال المسلمين، حيث يفرح لفرحهم، ويحزن لأحزانهم وما يحيط بهم من صروف الدهر، ولقد كانت واحدة من آلامه التي رافقته في حياته أن يجد العالم الذي لا يلتفت إلا إلىٰ خويصة نفسه، لا يأبه بما يجري مما هو كيد وبلايا بالمسلمين وبدينهم، كان رحمه الله تعالىٰ يعبر عن هذا الألم وهذه العلل التي وصلت إلىٰ من لا يتمعر وجهه ولا ينفطر قلبه كأضعف الإيمان من تكسر النصال علىٰ النصال في جسم الأمة الإسلامية، وكان مما قاله: «إننا نعرف كثيرا من الإخوان العلماء لا يتحركون ولا يتحرقون بأعمالهم علىٰ ما أصاب المسلمين»[1].

وإذا كان هؤلاء هذه صفتهم وأخلاقهم ومرضهم، فهل ينتظر منهم أن يكونوا أئمة يسير الناس وراءهم، ويتبعونهم في الأمر والنهي؟! وأخال أن هذا بعض السبب في وجود أئمة من تيارات سياسية وغيرها؛ يسارية وعلمانية تتحرق وتتحرك، فتقدمت للإمامة بشكل طبيعي في زمن زهادة أهل الإمامة من أوجاعها وتبعاتها.

وأما القرآن الكريم فقرر أنه لتعديل الميزان وإرجاع الأمور إلىٰ نصابها أن يكون للخَيِّرين أئمتهم يقفون في وجه أئمة الضلال والبعد عن الدين، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[2]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾[3]، وذلك في مقابل أئمة النار: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا

(١) الفتاوىٰ: ص٢٠٧.

(٢) الأنبياء: ٢١.

(٣) السجدة: ٣٢.

يُنصَرُونَ ﴾[1].

وسيأتي الناس يوم القيامة وراء أئمتهم، لقوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾[2]، فاللهم اجعلنا أئمة هدىٰ وخير وصلاح.

⮝ دعاؤه للمجاهدين ولإخواننا من أهل فلسطين بالنصر والتمكين، إذ نصرهم وعزهم عز للإسلام والمسلمين، ساعتها سيهنأ المذكوري ويطيب له العيد، كما يطيب للصالحين المخلصين، أمَا والتحرير لم يحصل عليه المرابطون في أرض الإسراء والمعراج فطيب العيد لا نزال ننتظره.

⮝ اهتمامه بأحوال الأمة ومتابعتها لم تمنعه أيضا من السير في مسار العلم وإكمال مشروعه؛ لأنه بالعلم تزاح الكرب وننتصر علىٰ المفلسين المفسدين.

٥. ويمكن أن نضيف إلىٰ مؤلفاته: تقريظه لرسالة ابن تاويت التطواني، ومما قاله : «فقد راجعت ما كتبه وحرره فضيلة الفقيه العلامة أحمد بن محمد بن تاويت التطواني في رسالته المسماة (إخراج الخبايا في تحريم البناء علىٰ القبور والصلاة بالزوايا) ... ولقد أجاد حفظه الله، وأتىٰ بالنصوص المستمدة من الينبوع الصافي السلسبيل؛ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما يشفي الغليل ويبرئ العليل».

إلىٰ أن قال : «هذا وإنني كنت سئلت عن مثل ما جاء في الرسالة المذكورة من بعض النواحي، فأجبت بمثل ما أتىٰ في هاته الرسالة، كما أنني كنت أقرر ذلك غير ما مرة، سواء في الدروس أو في المجتمعات، ومع ذلك لا زالوا نائمين، وعن التذكرة معرضين، ثم إنه كيف يعقل أن يترك كلام رسول الله ﷺ المعصوم من الخطأ؛ وفعله وتقريره إلىٰ قول فلان وسكوت فلان وفلان؟ وهل يتصور أن يرجح سكوت العلماء، ويرمىٰ بما نطق به هذا الرسول الكريم وطبقه في أقواله

(١) القصص: ٢٨.

(٢) الإسراء: ١٧.

وأفعاله، ويضرب بذلك كله عرض الحائط؟ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾»[1].

٦. ومما يمكن إدراجه في مكتوباته مداخلته القيمة في تأبين العلامة محمد المختار السوسي بمسرح محمد الخامس بالرباط يوم الأحد٢٩ دجنبر١٩٦٣م، وقد كانت إلى جانب رجالات كبار من علماء وقادة المغرب، ومنهم كلمة الملك الراحل الحسن الثاني والتي ألقاها بالنيابة عبد الوهاب بن منصور، وكلمة السادة الأفاضل: عبد الله كنون، محمد بن إبراهيم الكتاني، محمد المنوني، سعيد الأفغاني، عبد الهادي التازي، محمد التطواني السلوي، عبد الله الجراري، محمد ابن عبد الرازق المراكشي، محمد بن إبراهيم الدفلي، أحمد العدوي، سعيد أعراب، الحسن البونعماني، الحسين وجاج، محمد الحمداوي، عبد القادر زمامة، أحمد بن محمد الزيتوني، الطاهر بن علي الإلغي، الرحالي الفاروق، عبد السلام الهراس، عبد الرحمن الكتاني، أبو بكر الصبيحي، الحسن السائح[2].

٧. ومما توفر لدينا من مكتوباته مقالته في ميثاق الرابطة بعنوان: «**المواجهة**»، وذلك بتاريخ ١٥ جمادى الأولى من عام ١٣٩٤هـ، في باب: من هدي القرآن، وقد كتبها قبل وفاته بأربع سنين، مضمونها يتلخص في معاناة الأنبياء مع أقوامهم، بما

(١) نقلا عن كتاب: موسوعة السلف الصالح: ١٠/ ص٧٤ الخ.

(٢) لبّ الفوائد فيما قيل في تأبين العلامة رضى الله محمد المختار السوسي من كلمات وقصائد، جمعه وصنفه ونشره رضى الله عبد الوافي المختار السوسي الساهر على نشر تراث والده. وللأمانة العلمية فقد كاتبت السيد عبد الوافي المختار السوسي يوم الجمعة ١٩ذي الحجة١٤٣٤هـ الموافق ل ٢٥ أكتوبر من عام٢٠١٣م، فرد علي مشكورا في اليوم الموالي ٢٠ ذي الحجة ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٦ من أكتوبر٢٠١٣م، بكلمة الشيخ وبصورة من كلمته بخط يده. فجزى الله ابن الشيخ المختار السوسي على ما تكرم وتفضل به في حق الفقيه محمد المذكوري. وأصل هذه الكلمة في ثلاث صفحات بخطه الفقيه رحمه الله.

تحمله هذه المعاناة من صلف القوم وغطرستهم واعتدادهم بقوتهم الغاشمة عندما عجزوا عن قرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، ففروا إلىٰ ساحة المعركة إذ أعياهم المنطق السليم وقامت الحجة عليهم، وإذ غلبوا في ميدان العلم والبينات فقد هزموا أيضا في باب الرماح والسيوف والمجالدة، قال رحمه الله تعالىٰ: «وقد صدق الله العظيم في حكمه وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1]، وهكذا انتهت هذه المواجهة الفريدة بنصر الرسل الكرام الأبرار علىٰ أعداء الله ورسله الفجار، ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[2]»[3].

وملخصها أن المخالفين لكلمة الله قد اختاروا فرض المواجهة علىٰ الأنبياء ورسالاتهم، وأن عاقبة هذه المواجهة إما نصر أو غُلب.

وقد ختم مقالته بهذا المصير الذي أرشد إليه القرآن الكريم قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[4].

فأكد الحق تعالىٰ أن أهل الإسلام منصورون أو غالبون، منصورون بالأدلة والحجج والبينات في سوقها إذا ارتضىٰ القوم تمحيصها والوقوف علىٰ الراشد منها، غالبون بالسهام والرماح والحديد في ساحتها إن كانت الأخرىٰ، فالنصر بالبينات، والغلبة بالحديد.

لذلك سمىٰ مقالته: المواجهة، للتدليل علىٰ أن النصر والغلبة بالتأكيد حليف لأصحاب البينات الذين لا يفرطون فيها ولا في الحديد لحراستها.

---

(١) الصافات: ١٧٠-١٧٣.

(٢) الرعد: ٣٥.

(٣) من مقالته: المواجهة.

(٤) الصافات: ١٧١-١٧٣.

ومهما يكن الحال فإنهم في الجولة الأولىٰ لهم شبهات وشهوات يستندون إليها ويدافعون عنها، فناسبها أن يُتلطف معهم بالبينات في الحوار والجدال، ولكن الشوط الثاني من المواجهة سيعتمدون علىٰ النزق والطيش والاعتداء، وكأنه رحمه الله تعالىٰ يؤكد ويحذر في ذات الوقت إلىٰ وجوب الاقتناع التام أن هؤلاء المنهزمين في مجال البينات، سيتوسلون بالرعونة من خلال الكذب والاتهام والفجور في الخصومة إلىٰ درجة الاعتداء علىٰ الأنفس.

إنها مقالة تنبيهية للعلماء ومن انخرط في صف العلم الشرعي أن يكون له من الوعي بالسنن التاريخية مع الكفار، وأنهم ماضون إلىٰ المواجهة العلمية التي سينهزمون فيها، وسوف لن يرضوا بالإذعان فيختاروا السنان لمعادلة النصر، ولكن الثبات واليقين مع العلم الملجم بأدلة المنطق والعقل، سيكون لها جولة أخرىٰ؛ لأن نفسية العلم والدفاع عن حقائقه تعطي جرعات عظيمة في البحث عن نصرة الحق.

وعادة الرجل أنه يمتاح جواب عصره من كتاب الله ﷻ وانطلاقا من القرآن الكريم، تجد هذا جليا في مقالته (المواجهة) حيث يحتج في نفس طويل بالآيات القرآنية العديدة من السور لإثبات حقائق، ونفي أباطيل، وهذه عادة من اشترط علىٰ نفسه أن لا يتقدم بين الكتاب والحكمة في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو حال أو تأليف.

وستجدونها في الملحق الأخير.

٨. قصيدة تحت عنوان: النصيحة[١].

وستجدونها في الملحق الأخير.

---

(١) هذا العنوان اخترته لها، وليس من وضع صاحبها.

٩ . قصيدة تحت عنوان: ابتهال(١).

وستجدونها في الملحق الأخير.

١٠ . **قصيدة بمناسبة سعي الحجاج وطوافهم**، وقد نظمها علىٰ وفق أسماء الأحاديث النبوية الشريفة، من مثل: الصحيح، والحسن، والمرسل، والمعضل، والموقوف والمرفوع... وغيرها من الأسماء التي تعلم عند طالب مصطلح الحديث الشريف.

١١ . قصيدة تحت عنوان: أسقام(٢).

وستجدونها في الملحق الأخير.

١٢ . قصيدة معارضة الشاعر الشيخ سيدي عبد الرحيم البرعي رحمه الله(٣).

وستجدونها في الملحق الأخير.

وعندما نظم الشاعر عبد الرحيم البرعي(٤) في مدح النحو والشعر وذلك في قصيدته في مدح الرسول ﷺ، والتي قال في مطلعها:

كلام بلا نحو طعام بلا ملح ... ونحو بلا شعر ظلام بلا صبح

عارضه مَحمد المذكوري بقصيدة أثبت فيها مكانة الذكر الحكيم علىٰ باقي الفنون والعلوم، ومما قال فيها:

فأين كتاب الله أين فنونه؟ ... دراسته بالشيخ والحفظ باللوح

تزود به وبالحديث وغير ذا ... من العلم والآداب لا ترض بالنضح

---

(١) هذا العنوان اخترته لها، وليس من وضع صاحبها.

(٢) هذا العنوان اخترته لها، وليس من وضع صاحبها.

(٣) هذا العنوان اخترته لها، وليس من وضع صاحبها.

(٤) هو الشاعر عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليمني، عاش في نهايات القرن الثامن وبداية التاسع.

وهي وإن كان موضوعها فضل النحو والشعر كما في مطلع قول الشاعر البرعي:

كلام بلا نحو طعام بلا ملح ... ونحو بلا شعر ظلام بلا صبح[1]

(١) ونص القصيدة:

كلامٌ بلا نحوٍ طعامٌ بلا ملحِ ... ونحوٌ بلا شعرٍ ظلامٌ بلا صبحِ
ومنْ يتخذْ علمًا ويلغهما يعدْ ... بلا رأسِ مالٍ في الكلامِ ولا ربحُ
إذا شرحوا فضلَ العلومِ فإنني ... غنيٌّ بفضلِ النحو عنْ ذلكَ الشرحِ
يليقُ الخطابُ اليعربيُّ بأهلهِ ... فيهدي الوفا بالنصِ والحسنَ للقبحِ
ومنْ شرفِ الأعرابِ أنَّ محمدًا ... أتى عربيَّ الأصلِ منْ عربٍ فصحِ
وأنَّ المثانيَ أنزلتْ بلسانهِ ... بما خصصتهُ في الخطابِ منَ المدحِ
يكونُ محالُ الشعرِ وصفًا لغيرهِ ... ويكفيهِ ما في سورةِ الشرحِ والفتحِ
نبيٌّ دعاهُ المذنبونَ وهمْ على ... شفا جرفٍ هارٍ فمدَّ يدَ الصفحِ
وأحيا منارَ الدينِ في كلِّ وجهةٍ ... وذبَّ عنِ الإسلامِ بالسيفِ والرمحِ
وأيامِ غاراتٍ تظلُّ بها القنا ... محطمةً والخيلُ مشتدةُ الصبحِ
وكمْ في عيون الغيِّ بالرشدِ منْ قذى ... وكمْ في فؤادِ الشركِ منْ كبدٍ نزحِ
محا نورُه المشهورُ نارَ عنادهمْ ... وهدَّ بطودِ الهدى منهدمَ الصرحِ
وقلَّ جهادًا شوكةَ الشركِ إذْ دعا ... كباشَ جهادِ المشركينَ إلى الذبحِ
وهدمَ رسمَ الكفرِ بالسيفِ عنوة ... وأودعَ ذاتَ البينِ داعيةَ الصلحِ
ومازالَ يدعونا بتوفيقِ ربنا ... إلى الملةِ الغراءِ والمذهبِ السمحِ
إذا خابتِ الآمالُ فانزلْ بطيبةٍ ... وزرْ قبرها تظفرْ هنالكَ بالنجحِ
نضجتْ لظى ذنبي بلذةِ ذكرهِ ... فأطفأتَ نارَ الذنبِ بالذكرِ والنصحِ
مكينٌ إذا استنصرتهُ أوْ دعوتهُ ... لخطبٍ أتاكَ الغوثُ أسرعَ منْ لمحِ
وليٌّ لمنْ والى شديدٌ على العدا ... عطوفٌ على العافينَ ذو خلقٍ سمحِ
حوى الشرفَ الأعلى بمجدٍ مؤثلٍ ... منيفٍ وأحسابٍ مهذبةٍ وضحِ

ولكنها في الحقيقة رد على هذا الرجل الصوفي الغالي في بعض أقواله، وتذكيره بقواطع الكتاب والسنة، ويظهر غلوه في عدة قصائد منها قصيدته: كلام بلا نحو طعام بلا ملح.

ورفعةُ قدر زانها طيبُ عنصرٍ ... وطولُ يدٍ أندىٰ منَ العارض السحِّ
وعزَّ جنابٍ مخضرُ السوحِ دائمًا ... إذا اغبرتِ الآفاقُ منحصرَ السوحِ
تلوحُ عليهِ شيمةٌ هاشميةٌ ... جلالُ أبيهِ البرِّ أو عمهُ اللحِ
خلاصةُ سرِّ السرِّ منْ عزِّ غالبٍ ... أولىٰ الفضلِ لا شهمَ ولا جمحَ الجمحِ
تسللَ في الأصلابِ منْ عهدِ آدمَ ... فسارَ مسيرَ الشمسِ في طالعِ النطحِ
وأشرقَ في شرقِ البلادِ وغربها ... سناهُ وما أبقىٰ إلىٰ الشركِ منْ جنحِ
إليكَ رسولَ اللهِ جاءتْ بسرعةٍ ... قلوبٌ منَ الأشواقِ داعيةَ الفرحِ
فأنتَ الذي لولاكَ ما كانَ كائنٌ ... ولا كرَّ منْ ليلٍ بهيمٍ ولا صبحِ
كفاكَ علًا أنَّ الجماداتِ سلمتْ ... عليكَ الغمامُ الهاطلاتُ منَ اللفحِ
وكمْ لمستْ يمناكَ ذا المسَّ فانثنىٰ ... صحيحًا وداوتْ معضلَ الداءِ بالمسحِ
وسليتَ محزونًا وأرشدتَ غاويًا ... وأشفيتَ منْ سقمٍ وأبرأتَ منْ جرحِ
عساكَ رسولَ اللهِ تقبلُ عذرَ منْ ... يظلُّ ويمسي في الذنوبِ كما يضحىٰ
يناديكِ منْ نيابتي بورعٍ فقدْ ... كبا زندهُ في الصالحاتِ عنِ القدحِ
فشدَّ عرىٰ عبدِ الرحيمِ وسرْ بهِ ... بمرحمةٍ واغللْ يدَ الضيقِ بالفسحِ
وإنْ خضتُ في بحرِ الذنوبِ جهالةً ... فعطفكَ يا فردَ الجلالةِ بالصفحِ
فبي فاقةٌ للجودِ منكَ وللندىٰ ... كفاقةِ ظمآنٍ صدىٰ إلىٰ الرشحِ
وإني إذا ضاقتْ وجوهُ مطالبي ... أسيرُ بآمالٍ إلىٰ بابكَ الفسحِ
فصني لمدحي فيكَ واقبلْ وسيلتي ... إليكَ وقمْ بي في معادىٰ وفي منحي
وصلْ حبلَ راويها وأرحامهُ غدًا ... إذا طرحوا في النارِ مستوجبِ الطرحِ
وصلىٰ عليكَ اللهُ ما هبتِ الصبا ... وما اعتقبتْ دار الضحىٰ عذبُ السفحِ
صلاةٌ تبارىٰ الريحَ مسكًا وعنبرًا ... وتزري بنورِ النورِ في طلعِ ذي الطلحِ

ولذلك رد عليه بوجوب التمسك بالأصول للوصول، وليس بالوسائل لتبرير المسائل، فقال رحمه الله تعالىٰ له معارضا:

فأين كتاب الله أين فنونه؟ دراسته بالشيخ والحفظ باللوح
تزود به وبالحديث وغير ذا من العلم والآداب لا ترض بالنضح
فذلك رأس المال والربح دائما وما غدا في نحو وفي الشعر والطرح
وأين علوم الدين والفقه إذ هُما أساساه للبنا القوي لدىٰ الصرح؟
وإنهما بدون علمٍ متمِّمٍ كأنهما طيب تراه بلا نفح

الفقيه المذكوري مع القرآن الكريم:

كان الفقيه رحمه الله تعالىٰ لا يجد أنسه إلا مع كتاب الله تعالىٰ، ويظهر ذلك في ختمه لتفسير القرآن في المسجد العتيق بعين الشق مرتين، ثم أدركته الوفاة وهو في الثالثة .

وفي كل ختمة ـ وعلىٰ عادة أهل العلم في الختمات ـ كان يقيم احتفالا واحتفاء بأهل العلم وطلبته وجمهور المستفيدين.

زيارته للحرمين:

ومن كتاب فتاواه نستفيد زيارته لأداء فريضة الحج، ولم يترك في هذه الزيارة مذاكرة العلم وتمحيصه مع أهله.

وقد حدثنا رحمه الله تعالىٰ أن هذه الفريضة كانت عام خمسة وستين وثلاثمائة وألف (١٣٦٥هـ) الموافق لسنة ست وأربعين وتسعمائة وألف(١٩٤٦م) أي مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، قال عليه رحمة الله : «وقد جرت مناقشة في هذه المسألة (يقصد القبض والسدل) وفي الرفع من الركوع بيننا وبين الشيخ العلامة المجتهد عبد الخبير بن الحسن المدني، عند رحلتنا الحجازية عام خمسة وستين وثلاثمائة وألف، موافق لسنة ست وأربعين وتسعمائة وألف»[1].

(١) الفتاوىٰ: ص٣٣.

محمد المذكوري ناظما:

كان محمد المذكوري ناثرا وناظما للمعارف الشرعية، كعلماء زمانه في تقريب المواد الشرعية لطلبتهم بإحكام قوانينها وحدودها وقواعدها، ومعرفة الخلاف في مسائلها، وقد نظم في أصول الفقه بعد مقدمة منظومة الأبواب الآتية:

- باب الأصل والفرع.
- باب أصول الفقه.
- الأمر.
- باب ما يدخل في الأمر والنهي وما لا يدخل.
- باب العام.
- باب الخاص.
- باب الأفعال.
- باب النسخ.
- باب فصل في التعارض.
- باب الإجماع .
- باب الخبر.
- باب القياس.
- باب الاستصحاب.
- باب التقليد.
- باب الاجتهاد .
- ثم خاتمة.

كما نظم مصطلح الحديث ، حيث تطرق إلىٰ المواضيع الآتية:

- الصحيح.
- الحسن.

- الضعيف وأقسامه.
- والموضوع.

وأما علم البلاغة فقد نظم فيه الأبواب الآتية:

- الفصاحة.
- الأسلوب.
- علم البيان.
- التشبيه التمثيلي.
- التشبيه الضمني.
- التشبيه المقلوب.
- أغراض التشبيه.
- الحقيقة والمجاز.
- الاستعارة التصريحية والمكنية.
- تقسيم الاستعارة إلىٰ أصلية وتبعية.
- تقسيم الاستعارة إلىٰ مرشحة ومجردة ومطلقة.
- الاستعارة التمثيلية.
- بلاغة الاستعارة.
- المجاز المرسل.
- المجاز العقلي.
- بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي.
- الكناية.
- بلاغة الكناية.
- أثر علم البيان في تأدية المعاني.
- علم المعاني.

- الخبر.
- أضرب الخبر.
- خروج الخبر عن مقتضىٰ الظاهر.
- الإنشاء.
- النهي.
- الاستفهام وأدواته.
- التمني.
- النداء وأدواته.
- الفصل والوصل ومواضعهما.
- الإيجاز والإطناب والمساواة.
- أثر علم المعاني في بلاغة الكلام.
- علم البديع.
- الخاتمة.

رساليته رحمه الله تعالى وأخلاقه:

وتظهر أخلاقه من خلال أقواله؛ لأن المرء كما يقولون مخبوء تحت لسانه، وإنني وإن كنت لم ألتق به ولم يتيسر لي أن أكون من تلامذته، ولكنني أقرأ نفسيته وأخلاقه من خلال مكتوباته، ومما أمكنني الوقوف عليه من أخلاقه من خلال مخبوء لسانه، كراهيته للظلم وعدم الرضا به، والأمر بالسعي بكل قوة لمقاومته، كما يظهر من خلال منظومته البلاغية التي قال في أحد أبياتها عن أنواع الاستعارة:

مكنيةٌ قرينةُ مُلازمهْ ... مهما يك الظلم فكن مُقاومهْ

فهذا البيت وإن كان في مجال علمي، ولكن المثال له رسالة كما هي عادة العلماء، أنهم يمثلون للرسائل التربوية والأخلاقية التي يودون إشاعتها من خلال

دروسهم وكتاباتهم ويدرجونها من خلال النماذج التي يختارونها لطلبتهم[(١)].

ومن العجائب أن تجد داخل صف المشتغلين بتحصيل علوم الشريعة من لا يأبه بالرسالية من حيث الالتزام بالدين والدفاع عن الشريعة والقيام، فكان المرحوم برحمة الله تعالىٰ وهو يكلم طلبته في موضوع المجاز المرسل يلح علىٰ أخذ وصيته الرحيمة بهم، أن يكونوا جنودا في خدمة أخلاق الإسلام وشريعة سيد المرسلين، فكان مما قال:

من المعنىٰ الأصلي خذ وصيتي — دافع عن الأخلاق والشريعةِ

ومن الأمور التي وقفنا عليها من أخلاقه التي يجتهد في إشاعتها في طلبة العلم: ترك الظلم بشتىٰ صوره وتجلياته، نستشف هذا من قوله أثناء تقرير موضوع الكناية:

قد يكون المكنىٰ عنه وصفا — وقد يكون موصوفا دع حيفا

هذه الرسالية من خلال الأمثلة والمواقف والمبادئ والقيم كثيرة رحمه الله عنده نظمًا ونثرًا.

محمد كنوني: فقيه حر متحرر:

في كل فتوىٰ مما أفتىٰ بها الرجل تراه حرا متحررا، تلمس ذلك وتراه يمشي بين

(١) كنت قد كتبت عن الرسالية عند العلماء وتعزيز الهوية والانتماء، وأن العلم عندهم لم يكن لينسيهم العمل والواقع. أذكر للتمثيل من ألفية ابن مالك:

الدعوة للاستقامة:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم — واسم وفعل ثم حرف الكلم

الارتباط بتاريخ الأمة ورموزها:

ترفع كان المبتدأ اسما والخبر — تنصبه ككان سيدا عمر

الارتباط بالقيم: **صف ذا ثنا، كم جاد شخص قد سما، دم طيبا، زد في تقىٰ، ضع ظالما.**

الرفع من شأن العلم: **أخي هاك علما حازه غير خاسر.**

وهو منهج قرآني ونبوي.

يديك، وليس حديث عنه بالحر المتحرر بالأمر الهين في دنيا العلماء، بل وفي دنيا غيرهم من أهل الفكر والثقافة والتأليف والإعلام... وغيرهم ممن تمتلأ الساحة بهم.

ومعنىٰ قولي فيه، أنه ما يعتقده يسارع إلىٰ الصدع به إخلاصا منه النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، غير مبال بمدح مادح أو هِجاء هَجَّاء وسَبِّه.

وأما قولي: ليس هذا بالأمر الهين في دنيا العلماء، أن كثيرين ممن قد يفوقونه علما ومكانة عندهم قناعات لا يستطيعون البوح بها وتقديم النفع لمن اؤتمنوا علىٰ نفعهم رضوا أو تسخطوا، والأسوأ أنك راءٍ من يعمل ضد قناعاته ومعتقده، ولن يعدم هؤلاء تبريرات باردة، أو اعتراف بالخطيئة لحظات الصفاء.

وإذا وجدت مثل هذا الصنف فإياك أن تنتظر إصلاحا ممن لم يتحرر، فمن لم يكن حرا متحررا فإنه لا يحسن إلا الحلب والصر، وهو غير قادر علىٰ الكر والفر والمدافعة، بل هو في مسيس الحاجة لمن يحرره ويطلق عقاله.

وغالب هؤلاء الذين رضوا لأنفسهم أن تكون تحت العبودية البشرية، تجدهم رجع الصدىٰ لما يريده الآخر؛ تجنبا لسخط والتماسا لمرضاة ومغنم.

محمد كنوني: فقيه غير قنوع:

رغم أن كثيرا من أجوبته في كتاب الفتاوىٰ حول موضوع الصلاة التي هي دين نعتز بها وبآثارها، ولكن الشيخ رحمه الله تعالىٰ كان يحبذ أن نشتغل إلىٰ جانبها بمساحات مهملة تعرف ضمورا بسبب عدم السؤال عنها، وكأن هؤلاء حاجتهم إلىٰ الصلاة دون حاجتهم إلىٰ تصحيح معاملاتهم بميزان الشريعة.

إن الناس كما هم بحاجة إلىٰ من يجيبهم عن أسئلة الصلاة هم أيضا في مسيس الحاجة إلىٰ من يبين لهم الحكم الشرعي في معاملاتهم، من مثل القضايا الاقتصادية والمالية والفكرية والثقافية والإعلامية والفنية والفكرية وقضايا الحياة العامة، فإن للإسلام قولًا في كل مجال من المجالات.

لم يكن رحمه الله تعالىٰ يتحامىٰ الخوض في حياة الناس، بل يرىٰ ذلك دينا يفرض عليه أن يخوض في واقع معاملاتهم مثبتا ومصححا ومنكرا ما يجب أن ينكر منها؛ لأن شمولية الإسلام كخصيصة من خصائص الإسلام قد أثارت نفسه أن تكون جذعة للدخول إلىٰ حلبة المعاملات كفقيه ورجل دين، قال رحمه الله تعالىٰ: «سيجد القارئ الكريم كثيرا من الأجوبة حول الصلاة، وأنا أؤيد اهتمامهم، بل أشكرهم علىٰ هذا الاهتمام إلىٰ هذا الحد، غير أني أود لو أنهم اهتموا في أسئلتهم كذلك علىٰ ما يجري بين الناس حول كثير من المعاملات الفاسدة والشركات التي تعقد بين أصحابها بدون مراعاة لما اشترطه العلماء في شأنها وغير ذلك، وهو كثير كثير جدا»[1].

وهكذا نجد أن ما يتحاشاه بعض أهل العلم؛ طلبًا للسلامة وعدم الإحراج والإزعاج، هو الذي يصر الفقيه محمد كنوني علىٰ طلبه والدخول إلىٰ معتركه، إنه رحمه الله تعالىٰ كان يؤمن بفقه المجالدة والمدافعة.

الفقيه المذكوري خاتمة المفتين:

عندما تعرض الدكتور محمد رياض في أطروحته(أصول الفتوىٰ والقضاء في المذهب المالكي) لمبحث: دور علماء المغرب في الفتوىٰ، سرد أسماء المفتين المغاربة، وختم سلسلتهم بقوله: «الشيخ الفقيه الأصولي مَحمد المذكوري (م١٣٩٨) مفتي رابطة علماء المغرب[2]، وفي موضع آخر سماه: الشيخ الوقور مَحمد(فتحا) المذكوري رحمه الله[3].

كنت أقول ولا أزال: أن من أسباب الغلو في الدين، ترك الموقعين عن الله عز وجل

(١) الفتاوىٰ: ص١٠.

(٢) انظر: أصول الفتوىٰ والقضاء في المذهب المالكي: محمد رياض: ص١٥٩.

(٣) انظر: أصول الفتوىٰ والقضاء في المذهب المالكي: محمد رياض: ص٣١٦.

شرف التوقيع عنه ﷻ، فنهض الآخرون من باب الغيرة والدفاع عن الدين لإظهار الحمية للدين، وأن له من يوقع باسمه ويدافع عنه ويتكلم بلسانه.، فيخطئون ويغالون بسبب جهلهم مع صدقهم وإخلاصهم.

ونحن إذ لا نبرؤهم من تهمة الغلو، ولكن دعونا نقول: إن بعض هذه المسؤولية لا يمكن للذين أمرهم الله بالصدع ـ فلم يصدعوا: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[1]، ولم يتحملوا عبئها ـ أن يتنصلوا من تبعات مسؤوليتهم، أو أن يوجهوا سهام النقد والنقض إلىٰ هؤلاء، وهم التاركون لهم فريسة جهلهم مع حرارة صدقهم.

الفقيه المذكوري مناصرا القضية الفلسطينية:

كان يفتي رحمه الله بنجدة أولىٰ القبلتين، وثاني الحرمين، مسرىٰ الرسول ﷺ والمسجد الذي بارك الله حوله، وكان يفتي بالدعم بكل شيء يحتاجه المرابطون هناك، ومنه الدعم بأموال الزكاة التي يستحقونها بأكثر من وجه وسبب شرعي، وكان ينادي: «فيجب علىٰ المسلمين والحالة هذه أن ينهضوا من غفلتهم، ويستيقظوا من نومهم، ويبذلوا أموالهم، لإعلاء كلمة الله، بمد المجاهدين الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، بجميع ما يحتاجون إليه، وما يتوقفون عليه لمواجهة هذه الحرب الشنعاء، ولاسيما بالزكاة التي جعل الله لهم فيها نصيبا»[2].

وبعد أن أورد رحمه الله تعالىٰ الأقوال في اتفاق المذاهب الفقهية علىٰ إعانتهم وإعطائهم سهمهم المذكور في الكتاب والسنة، ذكر أن هذا النفير هو القادر علىٰ لجم التظاهر والتناصر الذي تخوضه الصهيونية والصليبية ضد أهلنا في أرض

---

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) الفتاوىٰ: ص١٢.

فلسطين، قال محرضا المؤمنين علىٰ إقامة الفريضة : «وعليه، فلم يبق محل للتردد والسؤال عن مسألة واضحة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفي كلام العلماء، والحالة أن المسلمين في محن شديدة من قبل التضامن الذي أظهرته الصهيونية والصليبية من هدم ديارهم وحرقهم بالنار وهم أحياء، وهتك أعراضهم والمسجد الأقصىٰ الطاهر يداس بنعال اليهود، وتقوض أركانه وتمحىٰ معالمه ويجري فيه أنواع من الفجور مما لا يخفىٰ علىٰ أحد، كل هذا والضمير العالمي يتفرج من بعيد ولا يقيم وزنا لذلك كله.

فإلىٰ الأمام أيها المسلمون، فإن الله وعد عباده بالنصر لمن نصره، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، فالنصر لا محالة إن شاء الله في جانب المسلمين كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾»[1].

إن مناصرة قضايا المسلمين تظهر مدىٰ تحققه رحمه الله تعالىٰ بما ورد في كتابه ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[2]، فكان يرىٰ من نفسه أنه معني بأمة الإسلام الواحدة، وأنه خائف علىٰ نفسه من وعيد سيد الخلق : «من لا يهتمُّ بأمرِ المسلمين فليس منهم، ومن لم يُصبِحْ ويُمسِ ناصحًا للهِ ولرسولِه ولكتابِه ولإمامِه ولعامَّةِ المسلمين، فليس منهم»[3].

---

(١) الفتاوىٰ: ص١٣.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) الترغيب والترهيب: المنذري: ٣/ ٣٥. وهو وإن كان قد تكلم فيه من جهة الصحة، ولكن معناه صحيح. إذ من علامات محبة المسلمين، الاهتمام بهم، والفرح بفرحهم، والحزن لما أصابهم، وتلكم كانت صفة سيد الخلق محمد ﷺ بصريح نص القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

لأن المعركة كما قال تعالىٰ تحتاج إلىٰ الانخراط جميعا فيها من غير استثناء حتىٰ تكافأ انخراط الضالين والمغضوب عليهم ومن وقف إلىٰ جنبهم من أهل النحل الباطلة، إن عمل الكافة لا يستطاع إلا بعمل الكافة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[1]، والله المستعان عندما تتغير حقائق الإسلام علىٰ أفواه من ينتظر منهم حراستها وإذاعتها في الناس.

وقد مر معنا ما وقع له عندما كان ينظم البلاغة بقوله عند الانتهاء من نظمه:

ختمتــــه في ثــــاني يـــوم عيـــدِ ... مـــن حجـــة وفي كـــرب شـــديد

فالـدمع قـد جـرىٰ علـىٰ الخـدود ... مـــن نكـــسة أتـــت مـــن اليهـــودِ

فلتـــرحم اللهـــم حـــال ضـــعفنا ... عنـــد انهزامنـــا وحـــال خُلفنـــا

ولتطـــرد العـــدو مـــن أوطاننـــا ... ولترفـــع المحـــن عـــن إخواننـــا

حتـــىٰ نـــرىٰ الإســـلام في الـــصعود ... هنـــا يطيـــب لنـــا كـــل عيـــد

الفقيه المذكوري: وسام من درجة فارس:

ولأنه كان فارسا في العلم، فقد حصل المذكوري علىٰ وسام ملكي من درجة فارس بتاريخ: ربيع الثاني١٣٩٣هـ، أي قبل وفاته بست سنوات، وذلك تحت رقم: ٧٣ـ ٣٠٤ـ٧٧٧، قال تلميذه الأستاذ علال أحمد بشر عام وفاته عندما ترجم له مؤكدا حصوله علىٰ الوسام الملكي من درجة فارس: «وقد كان حقا فارس العلم والعلماء والدعاة»[2].

وفاته:

توفي رحمه الله ليلة الجمعة لست وعشرين خلون من شهر محرّم سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة بمدينة الدار البيضاء (توفي يوم الجمعة ٢٦محرم

---

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) نقلا عن صحيفة: ميثاق الرابطة، عدد٢٦٧، بتاريخ ربيع الأول١٣٩٨هـ.

١٣٩٨هـ/ ٦ يناير١٩٧٨م)، وشيعه علماء وجمهور كبير[1]، عاش قرابة ثمانين عاما، أبّنه قبل الصلاة عليه بالمسجد العتيق بعين الشق العلامة الشيخ محمد مفضال السرغيني، وقد صلىٰ عليه إماما بالمعزين والمشيعين إمام السنة الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالىٰ، وفي مقبرة الشهداء أبّنه الشيخ الزبير التفراوتي الحسني، والأستاذ الهاشمي الفيلالي.

وفي يوم الأحد خامس صفر من عام١٣٩٨هـ، أي بعد عشرة أيام من وفاته اجتمع أصدقاؤه وتلامذته في بيته، تليت الآيات القرآنية، وألقىٰ الشيخ أحمد الزروالي كلمة في الموضوع، كما ارتجل تلميذه الأستاذ علال أحمد بشر كلمة كانت بعنوان: إنك لم ترحل يا أبي، وألقىٰ الأستاذ إدريس الجاي أمزيان قصيدة رثىٰ فيها الفقيد..

وممن رثاه السيد محمد الدفالي المراكشي بقصيدة قال فيها:

قد جاءه نبأٌ ما كاد يَسْمَعُهُ — حتىٰ همىٰ بدماء الحزن مَدْمَعُهُ

فزعزع الصبرَ هذا الرزءُ منه وإن — كانت قبله الأنباء لا تزعزعهُ

لكنه الموتُ كل الخلق ذائقه — وليس يدرك عقلٌ أين موقعهُ؟

كم طائر طار أعواما معددة — فكان في الأرض عند الموت مصرعهُ

وكم سائرٍ علىٰ أرضٍ يتيه بها — فطار يلهو، فطار الموت يتبعهُ

ولو كان المرءُ في برجٍ مَشِيدَةٍ أو — تحت أطباق الثرىٰ لا بد يصرعهُ

بالبيضا نُعِيَ الفقيهُ أُستاذُنَا — محمدٌ المذكورِي الزيدانِي نسبتهُ

لا يقبض اللهُ هذا العلمَ مُنْتَزِعًا — لكن بِقبضٍ كهذا الحبرِ يَنْزِعُهُ

خرقٌ بحلةِ هذا الدينِ مُتَّسِعٌ — لا شيخَ بعد محمدٍ يُرَقِّعُهُ

---

(١) موسوعة أعلام المغرب: محمد حجي: ٩/ ص٣٤٧١. تتمة الأعلام الزركلي: ٢/ ص٢١٣.

بـدرُ التمـامِ تَغِيـبُ اليـومَ طلعتُـهُ والأمـرُ للـوارث البـاقي يُرَجِّعُـهُ
هـذا هـو الـرزءُ أدهـاهُ وأَعْظَمُـهُ وأَمَـرُّهُ وأرداهُ وأَفْجَعُـهُ
يـا راحـلًا وجنـانُ الخلـدِ مَسْكَنُهُ وفي البيـضا كـان مُكثُـهُ ومـضجعُهُ
قـد كنـت والله مفتيهـا وعالمَهَـا الحـقَّ ترفعـهُ والغـيُّ تدفعـهُ
فلـو رأىٰ مالـكٌ مـا قـد أفتيـتَ بهـا لقـال هـذا الـذي قـد كنـتُ أصـنعهُ
لـم نـنس أيامـا عنـد الـدروسِ بهـا الحـقَّ نـسمعهُ والعلـمُ نرضَـعُهُ
لله منـه ومـن إلقائـهِ سـندا قـد كـان في مـسجد البيـضاءِ يرفعـهُ
كـأَنَّ أحمـدَ يـروي في مـساندهِ عـن ابـن قطـانٍ والآلافُ تـسمعهُ
إذا تجـرأَ قيـدومٌ فَنَـاظَرَهُ تـصدىٰ كنـونُ بالبرهـانِ يُقنعـهُ
أكـرِمْ بـه عالمـا اللهُ فـضَّلَهُ! عمـن بمـشرقٍ أو بـالمغربِ يجمعـهُ
شـيخٌ أقـام مـن القـرآنِ مُحْكَمَـهُ وعنـدهُ مـن بـلاغِ الخـتمِ أقْطَعُـهُ
ومـن أفـانينِ أسـرارِ اللُّغَـىٰ عجـبٌ والفـرعُ مـن أصـلهِ الأقـوىٰ تُفَرِّعُـهُ

فرحمه الله رحمة واسعة وغفر له ولوالديه والمؤمنين.

الفصل الثاني
الفقيه مَحمد كنوني المذكوري

٢ـ فقهه :

تقديم العلامة عبد الله كنون:

حدد العلامة عبد الله كنون في تقديم كتاب الفتاوىٰ مقدمة نفيسة حدد فيها منهج هذه الفتاوىٰ التي ارتضتها رابطة علماء المغرب، حين عهدت إلىٰ مفتيها القيام بها علىٰ هذا السنن، فقال : «ومن حيث أن الفتوىٰ تتعلق بأحكام المعاملات، كما تتعلق بأحكام العبادات، فتمنع بها حقوق، وتستباح حرمات، فإن المفتي يتحمل بذلك عبئا ثقيلا من أمر الدين والدنيا.

وكانت الفتوىٰ قبل اليوم تدور في فلك المذهب وقواعده، وتعتمد أقوال علمائه، وحاملي رايته، لا تكاد تخرج عن ذلك نادرا حينما يكون الدليل الشرعي واضحا وبمتناول الجميع، أما اليوم وبعد أن نشرت كتب السنة وشروحها، وكتب الخلاف العالي، والمذاهب الفقهية المتعددة، وأصبحت متداولة بين أيدي الناس، واطلع الفقهاء وطلبة العلم علىٰ ما بها من أدلة ومدارك تخالف ما كانوا يعهدونه، ويتمسكون به في بعض المسائل، **فإن المفتي الآن صار مطالبا بتخريج المسألة علىٰ مقتضىٰ الدليل الشرعي من الكتاب والسنة**، وما في حكمهما، ومقارنة المذاهب وأقوال الأئمة والترجيح بينها، **فإن أغلبية الناس لم تعد تقنع بغير الراجح والأقوىٰ من المذاهب**»[(١)].

محمد كنوني بعد الجواد الصقلي:

وقد انتدبت الرابطة العلامة الجواد الصقلي؛ لكي يوقع عن الله عند إجابته عن فتاوىٰ الواردة علىٰ الرابطة، وبعد وفاته[(٢)] اختارت فارسا آخر ليحمل راية الإفتاء

---

(١) الفتاوىٰ: ص٥.

(٢) توفي العلامة جواد الصقلي سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

في المغرب وهو الشيخ محمد كنوني المذكوري الذي شرَّف الإفتاء كما قال الأمين العام لرابطة علماء المغرب، حيث قال: «وقد كان العلامة المرحوم سيدي الجواد الصقلي يقوم بهذه المهمة خير قيام كما تشهد بذلك فتاواه المنشورة في صحيفة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب، والآن يقوم بهذه المهمة فضيلة الفقيه العلامة سيدي الحاج مَحمد كنوني المذكوري، الذي أبدىٰ كفاءة ومقدرة عديمتي النظير في هذا الباب مع غاية التثبت وعدم الاندفاع في هذه الجهة أو تلك، بمجرد الرغبة في الخلاف أو إرادة الشهرة كما يقال: خالف تعرف، بل إن دافعه هو إحقاق الحق، وبذل الجهد في إصابة حكم الله في المسألة، من غير تعصب ولا تحامل، وفتاواه المنشورة في هذه المجموعة، وهي الدفعة الأولىٰ، دليل علىٰ ذلك»[(١)].

أئمة كان المذكوري يعول عليهم في الفقه:

كان المذكوري شديد الفيء إلىٰ أئمة الإسلام جميعا من غير استثناء، ولكن بعضهم في الفقه كانت له المزية الكبيرة عنده، فبالإضافة إلىٰ أعلام المذهب المالكي هناك علماء كانت مكانتهم كبيرة عنده، والعلماء المعتمدون عند العالم كافية لأخذ صورة إجمالية عنه، وعن مكانة الرجل ومشربه، نذكر من هؤلاء الذين كان كثير النقل عنهم، بما يدل علىٰ اطمئنانه إلىٰ تقريراتهم:

شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية: وكان يميل في ترجيح بعض أقواله، منها قوله: «وإن كنت أميل إلىٰ ترجيح ما ذهب إليه ابن القيم، والله أعلم»[(٢)].

والشوكاني: كان يجد في نيل الأوطار فقها حيا، دفعه إلىٰ القول في مناسبات عديدة كلمة منصفة عنه، ففي كتابه الفتاوىٰ قال: «وهكذا جمع الإمام الشوكاني

---

(١) الفتاوىٰ: ص٦. ويفهم من قول الأمين العام لرابطة علماء المغرب: وهي الدفعة الأولىٰ. أن التوقع كان هو نشر دفعات أخرىٰ. وهي مناسبة لجمع ما بقي من فتاواه، سواء المنشورة في صحيفة الميثاق أو في غيرها.

(٢) الفتاوىٰ: ص٢٩.

ﷺ هذه النظائر، فجزاه الله عن المسلمين خيرا، فكم كان الناس في حاجة إلىٰ جمعها، وفي ذلك كفاية، والله أعلم»[(١)].

والأمير الصنعاني:

ومن المعاصرين: الشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد الخضري: ص١٦.

منهجه في الإفتاء والفقه:

أولا: منهج الاتباع:

قرر الشيخ محمد كنوني منهجه الفقهي الذي ينطلق منه للإفتاء وغيره بالقول: «وقد سلكت في ذلك سلوك الاستدلال بكتاب الله، وبحديث رسول ﷺ، ثم بكلام الفقهاء بعد ذلك، بعد مقابلته بالأصول المبني عليها، إذ من المعلوم المقرر من أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ أن ما كان عليه هو وأصحابه ﷺ هو هذان الأصلان الأولان للتشريع، فكيف يمكن إذن للمسلم أن يدع هذين الأصلين الصحيحين إلىٰ أقوال البشر المعرضة للخطأ؟!»[(٢)].

وهكذا يتضح من غير لبس أن هذا المنهج يتأسس عنده علىٰ أصلين، هما:

- ✓ الأصل الأول: الكتاب.
- ✓ الأصل الثاني: السنة النبوية.

أما أقوال الفقهاء فليست عنده بأصل يساوي الأصلين، وإنما هي معتبرة عنده ما وافقت فتاواهم وكلامهم الأصلين والعروتين، ولذلك عبر عن الالتزام بالأوليين، وعبر عن أقوال الفقهاء بحرف: «ثم»، المشعرة عند علماء الشريعة بأنهما غير متساويين، وللدلالة علىٰ عدم تسوية أقوال الفقهاء بالعروتين المجمع عليهما.

---

(١) الفتاوىٰ: ص٦٩.

(٢) الفتاوىٰ: ص٧.

ثانيا: عدم التعصب:

إن الصدع بالرأي لا يعني سلوك مسالك التعصب المفضي أبدا إلىٰ الآفات الأخلاقية بين أهل العلم وطلبته، كأن يأخذ بوصية الإمام مالك في وجوب بيان السنة دون الجدال أو الحرب[١]، وهؤلاء هم العلماء الذين تنتفع الأمة بهم في هدوء مكين دون شغب أو التورط في اللغو.

لقد سئل رحمه الله تعالىٰ عن حكم البسلمة أول الفاتحة من عدمها، وعن القبض والسدل في الصلاة، والمصافحة بعد الصلاة، وعن تعدد الأذان.

ومع أن مثل هذه الأسئلة رأيه فيها واضح بما سبق أن أجاب عنه في أماكن أخرىٰ، ولكن لأنها تنطلق من نفسية الغلبة والانتصار، المفضيين إلىٰ التجهيل والتباغض والحقد والضغينة والسب والشتم، فلم يندفع في هذه الأسئلة بالذات إلىٰ تكرار الجواب عنها، وإنما انتقل إلىٰ التربية والتذكير بحقوق الأخوة وجوامع الدين، فقال رحمه الله تعالىٰ: «نحن من أنصار السنة..، كتابا وسنة وإجماعا»[٢].

وأكد أن رأيه في هذه المسائل هو: « أما المسائل المذكورة في السؤال، فهي مسائل لا تمس الجوهر من الدين، فالصلاة التي أمر الله بالمحافظة عليها في غير ما آية من كتابه العزيز صحيحة كيفما وقعت، بالبسملة أو بدونها على خلاف بين الأئمة، وبالقبض والسدل معًا، وبالرفع وبدونه، وبالفاتحة والمصافحة وبغير ذلك، وبتكرار الأذان أو لا» [٣].

---

(١) قال الهيثم بن جميل: قيل لمالك: «الرجل له علم بالسنة يجادل عنها، قال: لا، ولكن يخبر بالسنة، فإن قبل منه وإلا سكت» (ترتيب المدارك: ٢/ ٣٩).

وقال الزهري: «رأيت مالكا وقوما يتجادلون عنده، فقام ونفض رداءه وقال إنما أنتم حرب» (ترتيب المدارك: ٢/ ٣٩).

(٢) الفتاوىٰ: ٥٢.

(٣) الفتاوىٰ: ٥٢.

مخالفة الإمام ليست جريمة:

والفرق كبير بين الاحترام والتقدير والترحم علىٰ الأئمة والدعاء لهم، وبين التقديس وادعاء العصمة عمليا، فليس الرد علىٰ الإمام تنقيص من قدره أو إنزال من رتبته أو رفع من رتبة الراد، أبدا، أبدا.

إن المرأة التي ردت علىٰ عمر بن الخطاب ﷺ اجتهاده في تحديد المهور، وإصابتها للحق في هذه النازلة بشهادة الفاروق لها فورا، وخطأ ابن الخطاب، لا تنزل من قدره ورتبته وفقهه، ولا ترفع من مكانتها العلمية عليه، هيهات! هيهات! لها ولمن جاء بعدها أن يبلغ مد أحد هؤلاء الأعلام أو نصيفه.

إن مخالفة العالم لإمام ليست جريمة، وإنما هي منقبة علمية عالية إن ألجمت بلجام الأدب، لعدة أسباب، منها:

* أن الإمام نفسَه نص علىٰ وجوب اتباع الحق إذا تبين مما لم يصل إليه من النصوص، أو وصلته من طرق لا تنهض صحة، أو تعثر في القول بالاجتهاد.

* أن هؤلاء الأئمة كان يخالفهم تلامذتهم في حياتهم، فلا يعتبرون ذلك تجرؤا عليهم، أو قلة أدب منهم، وقد ألفت الكتب في بيان ذلك بين الأئمة وتلامذتهم، يقول الفقيه مَحمد المذكوري: «علىٰ أن أتباع هؤلاء الأئمة خالفوهم في كثير من المسائل، فلم تكن هاته المخالفة جريمة في حقهم جميعا، فالرجوع إلىٰ الحق فضيلة، ونحن نحمل لهم بين جوانحنا جميعا، الإكبار والإجلال والتعظيم والاحترام»[1].

* إنهم أئمة كبار، لئن أخطؤوا في بعض المسائل التي لا توافقهم الأدلة والقواعد عليها؛ فلا يلزم التنقيص من أقدارهم، أو التكلم في الموضوع بما يرفع أقدارنا، فإننا كما قال السلف الصالح وإن أصبنا في البعض: نحن فيمن مضىٰ

---

(١) الفتاوىٰ: ص٩ - ١٠.

كبقل في أصول فرع طوال.

فهم رحمهم الله تعالىٰ أعلام مصابيح الهدىٰ وإن أخطؤوا في بعض مما قالوا فيه نصيحة وبذلا للجهد، وأخطاؤهم من مقتضيات بشريتهم، وأن الكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله فقط، وما دونهم فمعرضون لهذا وهذا.

والأئمة الأعلام إذا ذكرت بعض أخطائهم، أو مرجوحية بعض أقوالهم، فهي معدودة محصورة مغمورة في بحار حسناتهم، وصدق رسول الله ﷺ: «إن الماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث»[1].

هكذا كان الفقيه مَحمد كنوني المذكوري يصدر فيما بقي بين أيدينا من كتاباته، وهكذا كان قوله: «ونحن نحمل لهم بين جوانحنا جميعا، الإكبار والإجلال والتعظيم والاحترام»[2].

كثيرون يدعون التمسك بالكتاب والسنة النبوية الشريفة، ويعلنون بذلك، ولكن دعاواهم تتكسر أمام العمل بهما وتقديمها دون تردد إذا كانت دلالتها قاطعة وثبوت الحديث لا مرية فيه.

ترىٰ هؤلاء يجتهدون في رد النصوص الشرعية بادعاء الضعف وهي صحيحة ثابتة، أو يردونها بأدنىٰ تأويل وإن كان باردًا بعيدًا.

والتأويل له ضوابطه وشروطه المرعية لقبوله، والرد بالضعف يحتاج إلىٰ الاعتماد علىٰ أهل الصناعة وما وضعوه من الضوابط العلمية لتصحيح الأخبار.

---

(١) سنن أبي داود: ٦٣.

(٢) الفتاوىٰ: ص ١٠. كثيرون يخلطون أو يُلَبِّسون بسوء قصد، عندما يجدونك لا تطمئن إلىٰ قول الإمام فيما خالف فيه الإمام مقتضىٰ الدليل لأسباب علمية (انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، في ذكر بعض هذه الأسباب)، يشيعون عنك كراهية الأئمة وعدم توقيرهم والإعلان بالتبجح بعلو العلم عنهم. معاذ الله. ولكن الفجور في الخصومة يركب بها البعض الصعب والدلول.

وقد حدثنا أحد الخلص من تلاميذه وهو الشيخ القاضي برهون أن اهتمام المذكوري بالدليل واعتماده عليه إنما جاء على يدي تلامذته، وبالضبط السيدين الكريمين القاضي برهون والعياشي المنصوري، وأكد لنا أن هذا من تواضعه رحمه الله وأوبته إلى الحق حتى وإن صدر عمن هم دونه وهم تلامذته، وكان رحمه الله تعالى يحيل عليهما الفتاوى ويتذاكرها معهم، وبخاصة ما تعلق منها بعلم الحديث.

بل حكى لنا القاضي برهون أن الفقيه المذكوري كان يعزهما ويجعل مكانتهما عالية عنده، حتى إنه كان يقول لهما: أنتما ابناي من روحي، وهؤلاء أبنائي من صلبي[1].

أما محمد كنوني فلم يكن يلتفت إلى رد النصوص الثابتة التي تزري برادها، والتي لا يمكن لأحد ردها مهما رام واجتهد في ذلك.

كناطخ صخرة يوما ليوهنها فما وهنت ولكن قرنه الوعل

ولم يكن يقبل رحمه الله تعالى التأويلات البعيدة الباردة المتعسفة.

تطبيقات من منهج الفقيه محمد المذكوري في الفقه:

ومنهج الاتباع يمكن رصده عمليا في العناوين البارزة:

أ ـ اتباع مقتضيات السنة النبوية:

المثال الأول: قراءة القرآن جماعة:

ذهب الفقيه المذكوري إلى عدم اعتبار القراءة القرآنية جماعة جائزة، وهي مسألة قال فيها الإمام مالك بعدم الجواز، قال ابن وهب: قلت لمالك رحمه الله أرأيت القوم يجتمعون فيقرؤون جميعا سورة حتى يختموها، فأنكر ذلك وعابه، وقال:

(١) حدثنا القاضي برهون بهذا في بيته يوم الخميس رابع ذي الحجة من عام١٤٣٤هـ الموافق لعشرة أكتوبر عام٢٠١٣م. بحضور الإخوة الأفاضل: عبد الرحمن الصمدي، إبراهيم أيت بولكسوت، عبد الله ونير. في جلسة معه في بيته حول الشيخ المذكوري.

ليس هكذا كان يصنع الناس، إنما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضه[١].

قال الشاطبي : «إن مالكا سئل عن ذلك فكرهه، وقال: هذا لم يكن من عمل الناس.

وفي العتبية: سئل عن القراءة في المسجد؟ يعني على وجه مخصوص كالحزب ونحوه، فقال: لم يكن بالأمر القديم، وإنما هو شيء أحدث. يعني أنه لم يكن في زمان الصحابة و التابعين.

قال: ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها.

وقال في موضع آخر: أترى الناس اليوم أرغب في الخير ممن مضى؟!

يعني أنه لو كان في ذلك خير، لكان السلف أسبق إليه منا، وذلك يدل على أنه ليس بداخل تحت معنى الحديث»[٢].

وذهب جمهور المالكية إلى عكس مذهب الإمام، قال النووي رحمه الله في شرح مسلم عند قوله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة**» الحديث، فقال : «في هذا: دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال مالك: يكره، وتأوله بعض أصحابه، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى»[٣].

وقد وافق المذكوري الإمام مالك وعزز قوله مخالفا من ذهب إلى جوازها من

(١) الإبداع في مضار الابتداع: علي محفوظ: ص٣٥١.

(٢) الفتاوى: الشاطبي: ص٢٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم: النووي: ج١٧ / ص٢١-٢٢، وقد بوب على اختياره هذا بقوله: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. ثم نص عليه صراحة ومعتبرا رأي مالك وبعض أصحابه تأويل بعيد يخالف ظواهر النصوص الجلية.

علماء المذهب، قال رحمه الله تعالىٰ: «ومن المقرر المعلوم أن الإمام مالك رحمه الله يقول بكراهة ذلك حيث قال: ليست القراءة في المساجد من الأمر القديم، وإنما هو شيء أحدث، ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدىٰ مما كان عليه أولها» اهـ، والذي ينبغي الأخذ به هو عمل السلف الصالح، ومنهم الإمام مالك رضي الله عن الجميع»[1].

وهي مسألة عائدة إلىٰ الكف هل فعل ودليل علىٰ المنع أو ليس بفعل إنما هو دليل علىٰ عدم الوجوب، قال صاحب مراقي السعود:

فكفنا بالنهي مطلوب النبي — والكف فعل في صحيح المذهب

له فروع ذكرت في المنهج[2] — وسردها من بعد ذا البيت يجي

ولم يكن قوله بعدم الجواز عائدا إلىٰ عدم استحضار أقوال المخالفين لرأيه، بل إنها ماثلة أمامه عيانا، ولكن السنة النبوية الشريفة وعمل السلف الصالح هي التي شجعته علىٰ اعتبار القراءة الجماعية لا تنهض الأدلة لإجازتها، قال في خاتمة فتواه: «إني أعلم ما قاله بعض الفقهاء مما يخالف ما سطرته في أجوبتنا هذه، ولكنني آثرت ما كتبته آخذا من سنة الرسول ﷺ، أو أخبار وآثار السلف الصالح الذين هم أقرب عهدا وأصح سندا بالنسبة لمصدري التشريع الإسلامي الذي هو كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، وقربهم من القرون الثلاثة، وإني وإن كنت أحب السابقين، فأنا كما قال القائل:

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا — بكاها فقلت الفضل للمتقدم»[3]

المثال الثاني: الذكر عند حمل الميت:

اعتبر المذكوري أن التهليل وغيره عند حمل الجنائز بدعة مخالفة لهدي

---

(١) الفتاوي: محمد كنوني المذكوري: ص ١٤٢- ١٤٤.

(٢) يقصد الناظم: المنهج المنتخب في قواعد المذهب: للمنجور.

(٣) الفتاوىٰ: ص١٤٤.

الرسول الأكرم والخلفاء الراشدين، ودعم قوله بما هو موجود في كتب المالكية كحاشية الشيخ الرهوني علىٰ المختصر للشيخ خليل، والمشايخ: أبي سعيد بن لب، وأبي محمد سيدي عبد الله العبدوسي، وشيخ المشايخ العلامة كنون، وختم بحثه بالقول: «وبهذا نقول: وهو اعتقادنا في مثل هذه المسألة مما لا دليل عليه من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ، وإنما الاعتماد فيها علىٰ الأعراف والعادات وعلىٰ المرائي، وهو قول فلان وفعل فلان، مع أن قول وفعل غير المعصوم ليس بحجة كما هو واضح، اللهم وفقنا لاتباع كتابك وسنة رسولك، ووفق الأمة الإسلامية لهذا المنهج القويم، والصراط المستقيم، آمين، والحمد لله رب العالمين» [1].

المثال الثالث: الاستئجار لعمل الفدية بالسبحة:

رد رحمه الله تعالىٰ علىٰ القائلين باستحباب اجتماع الإخوان بنية القراءة المهداة لفدائه من النار، وعد ذلك مخالفة صريحة للسنة النبوية، فقال: «وما دامت هذه الفدية لا مستند لها من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ، فهي بدعة محدثة، إذ لو كانت حقا فداء من النار، لسبق إلىٰ ذلك الخلفاء الراشدون والعشرة المبشرون والصحابة والتابعون والثلاثة القرون الأولىٰ، مع علمنا بأنهم كانوا ﷺ يتنافسون فيما هو أقل فضلا من ذلك.

وخير أمور الدنيا ما كان سنة   وشر الأمور المحدثات البدائع

فليقتصر المسلم علىٰ ما ورد في الشريعة الإسلامية أو ما تناولته قواعدها العامة، ففي ذلك الكفاية التامة، **ومن لم تصلحه السنة فلا أصلحه الله**» [2].

---

(١) الفتاوىٰ: ص٣٢.

(٢) الفتاوىٰ : ص٥٥.

ب ـ عدم قبول التأويلات البعيدة المتكلفة:

المثال الأول: صلاة ركعتين والإمام يخطب يوم الجمعة:

كان رحمه الله تعالىٰ يجد ما يجده المتمسك بالأصلين من برد العلم وطمأنينة الاتباع وحلاوة التمسك بهما وإن خالفها البعض بمبررات لا تصمد أمام البحث العلمي.

وقد التزم الفقيه محمد كنوني المذكوري هذا المنهج، فلم يتهيب من رد بعض أقوال الفقهاء التي جاءت تخالف الأصلين بتأويل بعيد وفي بعض الأحيان بارد، بل لم يتهيب من رد أقوال في المذهب المالكي إذا تبين له الخيط الأبيض ولم يعد شك في الفجر الصادق.

كما قرر بوضوح لا لبس فيه هذا المهيع الذي سلكه، فقال: «فكيف يمكن إذن للمسلم أن يدع هذين الأصلين الصحيحين إلىٰ أقوال البشر المعرضة للخطأ؟!»[١].

ج ـ عدم قبول الأحاديث الضعيفة:

المثال الأول: قراءة سورة يس علىٰ الأموات:

إن هذا المنهج المذكوري في الفقه المتأسس علىٰ الثابت من الأخبار قد رد به كثيرا من الآراء الفقهية؛ نظرا لاعتماد أصحابها علىٰ أخبار ضعيفة، نذكر للتوضيح والبيان:

تعرض للحديث المشهور علىٰ الألسنة: «اقرؤوا علىٰ موتاكم يس»[٢]، فقرر في البداية وبشكل حازم: «لكن الذي يجب التنبيه عليه هو أن الحديث المذكور ضعيف كما سيأتي بيانه، والفقهاء ساقوه مساق التسليم، وكذلك بعض المفسرين

---

(١) الفتاوىٰ: ص٧.

(٢) «اقرَؤوا علَىٰ مَوتاكُم يس».

أورده الشيخ ناصر الدين الألباني في: السلسلة الضعيفة، تحت رقم:٥٨٦١

والمحدثين»[١]، ثم قال بعد نفيس طويل في بيان ضعف طرق الحديث وما قاله أهل الصناعة فيه من الحكم: «فتحصل من ذلك أن الحديث الذي بني عليه الخلاف في السؤال أعلاه[٢]، ضعيفٌ، لعلل الاضطراب والوقف والجهل كما تقدم، ولا يصح في الباب حديث كما قال الدارقطني، قلت: وهذا الأمر ليس خاصا بسورة يس، بل بأي شيء من القرآن يقرأ على الميت»[٣].

هذا المنهج في بناء الفقه على الثابت من الأخبار وطرح ضعيفها كانت وصيته الدائمة، منها ما ورد فيها: «ومما ينبغي له[٤] الاقتصار على الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، وما أكثرهما ولله الحمد! ففيها كل كفاية، وذلك مخافة أن تحدثهم بالحديث الضعيف، فيسألوا غيرك، وما أكثر هذا الصنف من الناس!، فإذا ما أخبرهم بضعفه، فإن هذا الضعف يشملك أنت أيضا، فيصير الكل ضعيفا، فترتفع الثقة منك وعدم الاطمئنان إليك، فحذار حذار»[٥].

المثال الثاني: التيمم:

◄ **التيمم لكل صلاة:** قال في الموضوع: «وقد علم أنه لا يجب الوضوء إلا

---

(١) الفتاوى: ص٨٤.

(٢) والسؤال أعلاه الذي تصدى للجواب عنه، نصه: سؤال حول الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: «**اقرؤوا على موتاكم يس**»، هل ينتفع به الميت مطلقا قبل خروج الروح وبعدها؟ أو قبل الخروج فقط؟ ... إلخ، وهو وارد من تركيست وبني وكيل.

(٣) الفتاوى: ص٨٥.

(٤) يقصد: الداعية أو الخطيب أو الواعظ أو العالم.

(٥) الفتاوى: ص٨٩ ـ ٩٠. وهناك علة أخطر مما ذكرها الشيخ، وهي أن العمل بالضعيف يزاحم الصحيح. فتهجر السنن الثابتة ولا يعمل بها، ويعمل بما لا يليق العمل به. وتنشأ عدواة خفية للصحيح عند العاملين بالضعيف، كما هو مشاهد من حال من لا يأبه لصحيح الأخبار من سقيمها. وتضيع جهود علماء الحديث ومقاصدهم من نخل الأخبار ونقدها.

من الحدث، فالتيمم مثله، وإلىٰ هذا ذهب جماعة من أهل الحديث وغيرهم، وهو الأقوم دليلا» [١].

➤ **ضربات التيمم**: انتصر للقول بأنه ضربة واحدة كما هو نص حديث عمار في الصحيحين رادا علىٰ من قال بأنه ضربتين، ضربة للوجه، وضربة لليدين إلىٰ المرفقين، فقال: «واحتج أهل القول الثاني بحديث ابن عمر مرفوعا بلفظ: ضربة للوجه، وضربة لليدين إلىٰ المرفقين»، وقد تقدم عدم انتهاضه الاحتجاج من هذا الوجه ومن غيره، واحتجوا بالقياس علىٰ الوضوء، وهو فاسد الاعتبار، قاله العلامة الشوكاني» [٢].

ودعم رأيه بما نقل عن ابن القيم في الموضوع، فقال: «نقل عن ابن القيم في زاد المعاد قوله: ولم يصح عنه أنه تيمم بضربتين ولا إلىٰ المرفقين» [٣].

فرد هذه الصفة من جهة الثبوت، ومن جهة الاعتبار، ولم يتهيب أن يكون من هؤلاء إمام بلده الإمام مالك وغيره.

➤ **صفة التيمم**: اعتمد في صفة التيمم علىٰ ما قاله الإمام أحمد في المسألة، وفيها: «قال (أي الإمام أحمد): وأما ما ذكر في صفة التيمم من وضع أصابع بطون يده اليسرىٰ علىٰ ظهره اليمنىٰ، ثم إمرارهما إلىٰ المرفق، ثم إدارة بطن كفه علىٰ بطن الذراع وإقامة إبهامه اليسرىٰ كالمؤذن إلىٰ أن يصل إلىٰ إبهامه اليمنىٰ فيطبقها عليها، فهذا مما يعلم قطعا أنه ﷺ لم يفعله ولا علمه أحدا من أصحابه ولا أمر به ولا استحسنه، وهذا هديه إليه التحاكم» [٤].

---

(١) الفتاوىٰ: ص٢٢.

(٢) الفتاوىٰ: ص٢١.

(٣) الفتاوىٰ: ص٢٣.

(٤) الفتاوىٰ: ص٢٣ ـ ٢٤.

ومن خلال هذه النقول التي اختارها وترجحت لديه يتبين أن الرجل لم يكن يتهيب أن يرجح ويأتي بقول أهل المذاهب الفقهية من خارج مذهب المالكية، وهذه شجاعة علمية قليلة ملجمة بلجام الأدلة والاعتبارات الشرعية.

د ـ عدم اتباع الأئمة فيما أخطؤوا فيه من الاجتهاد:

لقد أطر نفسه علىٰ الحق أطرا، وإذا كان بعض أهل الفقه قد خالفوا القول به، ولم ير نفسه إلا متبعا للأئمة الأعلام الفقهاء ليس مبتدعا أو مخالفا، قال: «إنني أطبق في كلمتي هذه ما نطق به أئمة المذاهب الكبار ﭬ، فهذا أبو حنيفة يقول: دعوا قولي لحديث رسول الله؛ ودعوا قولي لقول أصحابه، وهذا مالك يقول: كل كلام منه ما يقبل ويرد إلا ما صح عن صاحب هذا القبر، وهذا الإمام الشافعي يقول: فإن وجدتم كلامي موافقا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فخذوا به؛ وإلا فاضربوا به عرض الحائط، وهذا أحمد يقول: لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا، إلىٰ آخر كلامهم رحمهم الله تعالىٰ» [١].

ومن نماذج هذا المنهج، نذكر الفتاوىٰ الآتية:

المثال الأول: القبض والسدل في الصلاة:

انتصر رحمه الله تعالىٰ للقبض من جهة الدليل الشرعي الذي لا يجب إسقاطه، بل يجب إعمال حكمه، ولم يكن في هذا منفردا بل سبقه أعلام من المذهب المالكي وغيره، وقد بحث المسألة من جهة الدليل والمدلول، ومن جهة الأدلة المعتبرة، ثم ختم ذلك بنظم في وجوب القبض، قال فيه [٢]:

---

(١) الفتاوىٰ: ص٩.

(٢) وهو ﵀ ناظم متقن كما هو معروف من نظمه لكثير من الفنون. وهذا البحث هو رد علىٰ الشيخ العلامة المجتهد عبد الخبير بن الحسن المدني عند رحلة محمد كنوني إلىٰ الحجاز عام خمسة وستين وثلاثمائة وألف، موافق لسنة ست وأربعين وتسعمائة وألف، عندما أنكر عليه القبض والرفع من الركوع مع كون الإمام مالك المقتدىٰ به في المغرب لا يقول بذلك ... إلخ ، فرد عليه نثرًا ونظمًا . (انظر: الفتاوىٰ:ص٣٣ ... إلخ).

وبعد أن قد صلينا العشاء … علي فيها أنكر أشياء
أتفعل القبض وأنت مالكي … والخلف ليس حسنا للسالك؟!
كذلك الرفع من الركوع … والرفع منه كذا في الفروع
وذلك لم يقل به الإمام … على خلافك له تُلام
قُلتُ له فالقبض قد رواه … عن الإمام حجة أواه
الثقة الثبت الهمام أشهب … وقال هذا للإمام مذهب
والقرينان[1] في سماع الواضحة … نقلا ذا عنه فكن مرجحه
وكذا قال أصحاب المدينة … عنه وهاذي حجج متينة
وإنما روى السدل ابن القاسم … رد كلامه برد حاسم
ابن عبد البر وابن رشد … وغيرهم ذوو التقى والرشد
وابن عبد السلام وابن العربي … وغيرهم من علماء المغرب
وفي الإكمال قاله الجمهور … كذا الحفيد الحكيم المشهور
والرفع قد نسب للإمام … في مشهور القولين والأحكام
لازمه دهرا إلى الممات … كما روى جمع من الثقات
كالقرطبي وابن عبد البر … وغير هذين كثير فادر
واعتمدوا حديث عبد الله … بن الفاروق الصاحب الأواه
أخرجه في الموطأ الإمام … حديثه قبله الأنام
ومثل ذا عن صاحب الصحيح … وزاد هذا بلفظ صريح
من ادعى طعنا ففي الصحابة … سهم الشريعة لذا أصابه

---

(١) يطلق لقب القرينين في المذهب المالكي على كل من: أشهب وعبد الله بن نافع. قالوا: لأن سماع أشهب كان مقرونا بسماع ابن نافع.

سنده هذا أصح سند — هذا كلام للإمام السيد
وأخرج الحديث أيضا مسلم — فكيف يطعن في ذاك مسلم؟!
فإن يكن خالف بعض الناس — أو أخذوا بالرأي والقياس
فما خلافهم غدا بمعتبر — إذ عارض النص الصحيح والخبر
كنتُ حديث العهد بالموضوع — ثم راجعته لدىٰ الرجوع

ثم ختم بحثه بعد النظم والتقرير والشرح بأن قال: «وبهذه الأحاديث الواردة في القبض يتبين للقارئ الكريم بطلان ما أطال به من ينتصر للسدل، فالواجب هو الرجوع إلىٰ أحاديث الرسول ﷺ واتباع سنته، والله يوفق الجميع لذلك، آمين والسلام»[1].

لست هنا في موضوع مناقشة موضوع القبض والسدل أيهما الراجح وأيهما المرجوح، فلكل وجهة هو موليها، ولكنني أقدم من خلال ترجيحه رحمه الله تعالىٰ تفكير الرجل الفقهي، وإنني وإن كنت موافقا له في التأصيل والتفريع، فإنني لا أريد أن أحيي المعارك السالفة جذعة في الذي كتب فيها مؤيدا ومنتصرا، أو ردا وتفنيدا.

إن همتي هي إبراز الأسس العلمية التي كانت تسيطر علىٰ الرجل في ورده وصدوره، وينطلق منها في فقهه وفتاواه.

ومع الترجيح الذي أوافقه عليه، فإني أيضا أوافقه علىٰ آداب العلم والخلاف الذي كان يتحلىٰ به، فليست المشكلة هي أن تختار هذا الرأي الفقهي أو ذاك، فسنة الله في العالمين أن يبقوا مختلفين وما يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم، قال بعض أهل التفسير: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[2]: أي خلقهم للاختلاف.

هذا الأدب واحترام وجهات النظر الأخرىٰ مما كان يتمتع به، قال رحمه الله

(١) الفتاوىٰ: ص٣٧.
(٢) سورة هود:١١٩ .

تعالىٰ: أما المسائل المذكورة في السؤال فهي مسائل لا تمس الجوهر من الدين، فالصلاة التي أمر الله بالمحافظة عليها في غير ما آية من كتابه العزيز صحيحة كيفما وقعت، بالبسملة أو بدونها علىٰ خلاف بين الأئمة، بالقبض والسدل معا، وبالرفع وبدونه، وبالفاتحة والمصافحة وبغير ذلك، وبتكرار الأذان أو لا.

نعم، نحن من أنصار السنة ومن الداعين إليها، ولكن لا يصل بنا ذلك إلىٰ المناقشة الحادة، وإلىٰ الضغينة وغير ذلك مما سبب لنا التنافر والتقاطع ورمي بعضنا بعضا والهجران وفحش القول، فنقع بسبب ذلك فيما حرمه الله كتابا وسنة وإجماعا[١]، وقد سئل الإمام مالك رحمه الله المقتدىٰ به في هذه الديار: أنجادل عن السنة؟ قال: لا، أخبروا بها، فإن سمعوا فذاك، وإلا فلا، أو كلاما هذا معناه» [٢].

وها هنا يظهر بجلاء أخلاق الرجل العلمية، وأن اقتناعه بالشيء لا يسف به وينزل به إلىٰ أدب السباب والتعيير والتجهيل التي ألف البعض فعلها مظهرا انتصاره للسنة، وهو من الذين يشيعون الفواحش في الناس.

ويظهر أنه لم يكن متعصبا في المسائل الفقهية، فهل يعي هذا المعلم والأدب الجميع، المنكر والمنكر عليه؟! فإنني أرىٰ أنهم سواء في السقوط في التعصب والجدل المذموم والتنابز والإساءات.

ومن خلال نظمه اعتمد في القول بالقبض علىٰ الأدلة الآتية:

- أن الحديث الشريف في الموطأ وغيره لا يقوىٰ علىٰ معارضته عالم أو فقيه.
- أن قول أهل السدل مبني علىٰ الرأي والقياس المعارض للنص، والقاعدة الفقهية: لا اجتهاد مع النص.

---

(١) أي أننا نتشدد في الخلاف وحقه أن يكون الأمر واسعا، ونسقط في المحرمات القطعية التي لا خلاف حولها، وحقها هنا أن نتشدد فيها بالحرص علىٰ عدم الوقوع في مصائدها.

(٢) الفتاوىٰ: ص٥٢.

• أنه قول الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ كما نقله عنه أصحابه، ومنهم الإمام أشهب والقرينان كما في الواضحة وأصحاب المدينة.

أنه قول أعلام المالكية المعتبرين، الذين ردوا قول ابن القاسم ومنهم: ابن عبد البر وابن رشد وابن عبد السلام وابن العربي وغيرهم من علماء المغرب، وفي الإكمال قاله الجمهور كذا الحفيد الحكيم المشهور.

هـ ـ منهج التوقف:

كان رحمه الله تعالىٰ إذا لم يتبين له رجحان مذهب فقهي في مسألة من المسائل، يورد الأقوال ويقرر التوقف عن بيان راجحها من مرجوحها، تاركا المهمة لغيره من أهل العلم ممن يفتح الله تعالىٰ عليه بالظهور، ومن نماذج توقفاته:

المثال الأول: الخرور في السجود هل يكون علىٰ الركبتين أم علىٰ اليدين؟

أورد الفقيه أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء، ثم ختم قائلا: «وإني أقول ما قاله الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ من أنه لا يظهر له ترجيح أحد المذهبين المذكورين؛ لتعارض الأقوال والأدلة في ذلك، وإن كنت أميل إلىٰ ترجيح الإمام ابن القيم، والله تعالىٰ أعلم» [1].

ويتبين لي من خلال هذا الاعتراف ما يلي:

* الاستفادة من جميع علماء المذاهب الإسلامية، كما في قوله بقوله النووي الشافعي، وميله إلىٰ ابن القيم الحنبلي.

* الميل إلىٰ الإمام ابن القيم كنوع من الاطمئنان دال علىٰ مكانة هذا الإمام في قلب الشيخ محمد المذكوري.

* وأما قول ابن القيم الذي أورده فهو: «وكان ﷺ يضع ركبتيه قبل يديه،

---

(١) الفتاوىٰ: ص٢٩.

ويديه بعدهما، ثم جبهته وأنفه، هذا هو الصحيح»[١].

---

(١) لا أتفق مع الشيخ كنوني المذكوري في ميله إلىٰ ترجيح ابن القيم، ولا إلىٰ قول ابن القيم في المسألة.

والخلاف الواقع في الوضع عند السجود ذكره الحافظ العسقلاني تحت رقم ٢٩٢ ـ ٢٩٣ من بلوغ المرام:

فالحديث الأول: أثبت فيه وضع اليدين قبل الركبتين عند إرادة السجود.

والحديث الثاني بعده: أثبت فيه وضع الركبتين أولا قبل اليدين عند إرادة السجود.

وأما مذهب صاحب بلوغ المرام فهو ترجيح وضع اليدين أولا ثم الركبتين بعد ذلك، ويشهد له من كتابه:

أ ـ قوله عن حديث أبي هريرة القائل بذلك : «وهو أقوىٰ من حديث وائل بن حجر» القائل بالعكس.

ب ـ قوله ترجيحا لهذه الهيئة : «فإن للأول شاهدا من حديث ابن عمر ﵄، صححه ابن خزيمة، وذكره البخاري معلقا موقوفا» .

وبه يتبين من قول المذكوري من أن ابن القيم قد حقق المسألة مرجحا القول بالركبتين قبل اليدين وأنه هو الصحيح، قول غير محقق وغير صحيح. وقد تتبع الشيخ ناصر الدين الألباني ما وقع فيه ابن قيم الجوزية من الأخطاء في كتاب تحت عنوان : «التعليقات الجياد علىٰ زاد المعاد»، وذكر أنه بحثها بالأتم رادا علىٰ ابن القيم فيما وهمه.

وقد حقق كثير من أهل العلم في السندين والمتنين، فتبين ما يلي:

* حديث أبي هريرة صحيح لا خلاف حوله.

* وحديث وائل بن حجر دونه في الصحة.

ثم إن المرجع في معرفة بروك البعير إلىٰ العرب التي جاءت نصوص الشريعة علىٰ وفق لسانها، فإنهم قالوا: إن ركبتي البعير في يديه كما هو معلوم من كتب اللغة ومن المعاجم العربية.

وعليه وجب علىٰ المصلي معاكسة هيئته(البعير) عند الهوي للسجود بوضع اليدين أولا.

وممن حقق في هذه المسألة وكتب فيها:

* الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه : «تمام المنة في التعليق علىٰ فقه السنة»، كما ذكر تلميذه الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري أن من كتب الشيخ المخطوطة، كتاب: إزالة الشكوك عن حديث البروك.

و- الاجتهاد:

وهو بذل الوسع من طرف الفقيه والعالم فيما يعرض للناس من نوازل جديدة، وقد عد إغلاق باب الاجتهاد أعظم الشر، ورد ذلك عند مناقشته للشيخ الخضري الذي حاول أن يلتمس لمن قال بإغلاقه المعاذير والتي يمكن إجمالها في الآتي:

- ✓ أولًا: ولوجه من ليس من أهله ولم يعد له عدته.
- ✓ ثانيًا: ما لحق الهمم من القصور العلمي.
- ✓ ثالثًا: أن الاجتهاد باب للتفرقة، لكثرة الأقوال، وهذه من علامات الخذلان .

هذه هي حجج من تعلقت همته بإغلاق باب الاجتهاد التي أوردها الخضري، ورد عليه المذكوري بالقول : «ولنا هنا مناقشة مع المرحوم الشيخ محمد الخضري في دفاعه عن المانعين» [(١)].

فأجاب عن **السبب الأول** في القول بالمنع، فقال : «ونحن نجيبه(يقصد الخضري) بأن ما أطال به من كون المانعين منعوه خوفا من أن يتسرب إلىٰ الاجتهاد من ليس من أهله، بأن ما ذكره ذهول منه عما اشترطوه في المجتهد من الشروط السابقة الذكر، وقوله: فاختاروا أهون الشرين، هذا مردود عليه؛ لأن الاجتهاد ليس بشر، بل إغلاق بابه هو الشر، حيث يسير الناس معتمدين الرأي، وأعظم به من شر!» [(٢)].

وأجاب عن **الثاني** بقوله : «وقوله: بأن ما فعلوه إنما هو لما لحق الهمم من القصور عن تحصيل ما يجب علىٰ المجتهد تحصيله ... إلخ.

نقول: هذا من التحكم في مشيئة الله وإرادته، فمن أين جاءهم هذا التعميم في

---

* والشيخ أبو إسحاق الحويني في رسالته : «نهي الصحبة عن النزول بالركبة».

(١) الفتاوىٰ: ص١٨٠.

(٢) الفتاوىٰ: ص١٨٠.

الحكم في حق حاضرهم؟ فأحرىٰ بالمستقبل، والغيب لا يعلمه إلا الله، سيما والواقع كشف عن ضعف ما قالوه وظنوه، فقد أنجب الله[1] رجالا فاق بعضهم بعض الأئمة المقتدىٰ بهم كما قدمنا سلفا»[2].

وأجاب عن **الثالث** بالقول: «وقوله: وذلك مدعاة للتفرقة، والتفرق علامة من علامات الخذلان ... إلخ.

هذا معارض بمثله، إذا غلق هذا الباب، وإرخاء العنان لكل واحد أن يفعل ما أداه إليه رأيه، أو يتبع القوانين الوضعية في المسائل التي لم يوجد فيها نص لمن قلده، هو التفرق وهو الخذلان لمن أنصف، وبالحق اتصف، عفا الله عنا وعنه»[3].

كان رحمه الله تعالىٰ لا يتهيب الرد علىٰ كبار القوم ما سقطوا فيه، ولم يكن يرضىٰ مثل تلك الردود الباردة في الدفاع التي ألفناه عند المقلدة: لربما اطلعوا علىٰ دليل لم نقف عنده.

من هذه النفسية العلمية كان المذكوري رحمه الله تعالىٰ ينطلق في الفقه والفتوىٰ.

المثال الأول: صام في بلد وعيد في بلد آخر:

لا بد من القول بأن قضية اختلاف المطالع لا يجوز أن تشوش علىٰ الوحدة والأدب الواجب لأهل العلم وما استقر عليه أنظارهم، والأمة لا تتضرر من اختيارها لهذا الرأي أو ذاك، راجحا كان أو مرجوحا..إذا اختارته لاعتبار من الاعتبارات.

ولكن الذي يشوش أن ينزل الرأي الفقهي منزلة النصوص القطعية ثبوتا ودلالة، ويجعله في مرتبة عدم جواز القول بعكسه.

إن هذه البلية هي التي حذر منها العلماء، حذروا من التعصب ومباءة التقليد

---

(١) أنجب من النجابة؛ حتىٰ لا يظن ظان فهما سيئا.

(٢) الفتاوىٰ: ص١٨١.

(٣) الفتاوىٰ: ص١٨١.

الأعمىٰ، هنا نكون أمام سوءة علمية تتجلىٰ في دفع الاجتهادات العلمية لأهل العلم باجتهاد من الاجتهادات كيفما كانت درجة الاطمئنان إليه، وقد قعد لذلك أهل العلم بالقول: الاجتهاد لا ينقض بمثله.

الصوم في بلد والتعييد في آخر فرع عن موضوع اختلاف المطالع:

ولنعلم أن قضية الصوم في بلد والتعييد في آخر إنما هي مسألة فرعية عن اختلاف الأقاويل في المطالع، وما كان من أمرها من المذهب هناك كان له الأثر الجلي والقول الواضح في هذه المسألة، فليست هذه المسألة منفردة برأسها، وإنما هي فرع للأصل الذي ذكرناه وهو أقوال أهل العلم في المطالع.

اختلاف المطالع حقيقة علمية:

إن القول باختلاف المطالع، أو القول بتوحيد المطالع، أي لزوم أهل كل بلد برؤيته وعدم إلزامهم برؤية بلاد أخرىٰ أو العكس، من المسائل الفقهية الخلافية، ومن رام جعل هذه المسألة من مسائل الإجماع والاتفاق؛ فقد أبعد النعجة، وأساء في السبيل.

الأقوال الفقهية في الصيام ببلد والتعييد في بلد آخر:

مسألة لا خلاف فيها: أن يكون عدد أيام صيامه عند الانتقال إلىٰ البلد الثاني والتعييد معهم هو ٢٩ يوما أو ثلاثين:

في هذه الحالة تكون الذمة قد برئت، ولا شيء علىٰ المسلم في هذه الحالة؛ لأن الشهر عندنا في الإسلام ٢٩ يوما أو ٣٠ يوما لا يزيد عن الثلاثين، لقوله ﷺ: الشهر هكذا الشهر هكذا.

وفي الحديث أن المرأة قالت للنبي ﷺ : إن اليوم تسع وعشرون ولم يكتمل الشهر بعد، فقال ﷺ: «**الشهر تسع وعشرون يوما**» .

فهذه الحالة لا نزاع فيها فيما أعلم بين أهل العلم، إن كان الصائم قد استوفى عدد أيام الصيام٢٩ أو ٣٠.

إنما الخلاف إذا عيَّد القوم الذي انتقل إليهم وكان عدد أيام صيامه ٢٨ يوما أو ستكون ٣١ يوما، فتنتقص عن الشهر بيوم، أو تزيد عن الشهر الشرعي بيوم.

وإنما وقع الكلام عند عدم التوافق، وهذه الأقوال قد وقع التفصيل فيها على الشكل الآتي[1]:

القول الأول: موافقة أهل البلد الذي انتقل إليهم في الصوم والعيد، سواء سبقهم فصام ٣١ يوما، أو تأخر عنهم فصام ٢٨ يوما، فيعيد معهم؛ لأنه بالانتقال إلى بلدهم صار واحدا منهم، ولأن الصيام والعيد لا يقيمهما أحد منفردا، لكن إن كان مجموع أيام صومه عند التأخر عن البلد الذي انتقل إليه هو:٢٨ يوما، فإنه يقضي يوما بعد ذلك.

وهذا مبني عندهم على أن الصوم والإفطار في رمضان عبادة جماعية وليس عملا فرديا، لقوله ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته...**»، وقوله ﷺ: «**الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون**».

فكل النصوص الشرعية تعتبر هذا الركن مما لا يجوز الانفراد به عن الجماعة بالتقدم أو التأخر، بل عليه أن يلتحم مع الجماعة ويتحد معهم في ممارسة هاتين الشعيرتين، ولا يلتفت المسلم لما يكون قد حصل له من نقص في عدد أيام الشهر عنده، أو ما قد يكون زائدا من الأيام عن الشهر القمري المعهود عندنا إذا كان

---

(١) من أفضل من توسع في بيان هذه النازلة، شارحا كل الأقوال بأدلتها وأصحابها السيد عبد الله بن طاهر، في بحث بمجلة المذهب المالكي تحت عنوان:حكم من صام في بلد ثم عيد في بلد آخر، متأخرا عنه في بداية الشهر أو العكس. العدد السادس عشر: عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. وقد صفى لي منها بعد قراءتها الأقوال التي أوردتها.

المسلم قد تقدم صومه في بلد على البلد التي انتقل إليها وتأخر العيد عندهم.

وعليه، فإن عيد معهم وكان عدد أيام صيامه لم تتجاوز ٢٨ يوما، أن يقضي يوما بعد ذلك أو يومين بحسب ما كان من عدد الأيام التي صامها القوم.

أعني إن كان عدد أيام الشهر الفضيل ٢٩ يوما وجب عليه إضافة يوم واحد، وإن كان عدد أيام الشهر ثلاثين يوما وجب عليه إضافة يومين.

ولا يؤثر النقص عند البعض أو الزيادة عند آخرين، فإن قوله ﷺ: «**الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون**»، يفهم منه أن الخطأ كاحتمال واقعٌ، وأن ما كان منه على هذه السبيل، فلا أثر له في الصيام أو الفطر أو في القضاء، قال ابن الأثير: «صومكم يوم تصومون ... ولا شيء عليهم من إثم أو قضاء»[1].

وقد قال بهذا القول العلماء الآتية أسماؤهم: العلامة الفقيه سيدي محمد الصغير (ت١٤١٩)، والحاج إبراهيم بن علي رايس، والحاج محمد بن إبراهيم الإيرازاني الباعقيلي، والحاج يحيى بن عمر الزعنوني الرسموكي، والحاج إبراهيم ابن محمد أيت هماد الأمزيلي التملي، والحاج الحسن أحمد المزواري، والشيخ محمد الصالح العثيمين، والدكتور وهبة الزحيلي، والشيخ الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، والشيخ ناصر الدين الألباني.

القول الثاني: أن يوافق أهل البلد الذي انتقل إليهم في العيد دون الصوم، فيعيد معهم ولو صام ٢٨ يوما ويقضي يوما بعد رمضان؛ لأن صيام يوم العيد حرام.

أما في الصوم فيعيد إذا أتم هو صيام ٣٠ يومًا، ولا يصوم معهم واحد وثلاثين إذا كانوا هم في صيام اليوم الثلاثين.

وممن قال بهذا القول العلامة سيدي الحاج الأحسن البعقيلي.

---

(١) النهاية في غريب الحديث: ٣/ ص٦١

القول الثالث: أن يوافق أهل البلد الذي انتقل إليه في الصوم دون العيد، وهو عكس القول السابق، ويعني هذا القول: أن يظل على صومهم معهم ولو صام ٣١ يوما، ولا يعيد معهم إن كان عدد أيام صيامه هو ٢٨ يوما، لأن الحديث ورد فيه: «فأكملوا عدة الصيام ثلاثين» ، فحدد إبراء الذمة بالإكمال الذي يكون بالشهر العربي٢٩ أو ٣٠، وليس٢٨ يوما داخل في لفظ الإكمال.

وممن قال بهذا القول: مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز.

القول الرابع: أن يوافق البلد الذي قدم منه وبدأ صيامه هناك، في الصوم والعيد مطلقا، ويخالف البلد الذي انتقل إليه، وعليه يصوم وحده إذا تأخر بيوم، ويعيد وحده إذا كان قد سَبق بيوم.

وهذا القول انفرد به الشيخ محمد كنوني المذكوري حين قال جوابا على من صام بالخارج يوما قبل رؤية بلده : «إن لشهر رمضان حالتين فقط، وهي ٢٩ يوما أو ٣٠ يوما، وعليه، فإذا كان السائل صام بعد أن ثبتت الرؤية الشرعية مثلا، وصام الناس وهو معهم، فيجب عليه في هذه الحالة أن يتم الثلاثين يوما ثم يفطر، ما لم يبلغه أنه ثبت ظهوره بأوربا لتسعة وعشرين يوما بخبر تلغرافي مثلا، فحينئذ يفطر معهم لحديث الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما**»، وهذا قد صام لرؤيته وأكمل عدة شعبان ثلاثين يوما، ولا قائل بأنه يصوم أكثر من ذلك، والله أعلم وأحكم» [١].

فأساس قوله يعود إلى الاعتبارات الآتية:

✓ الصوم للرؤية الشرعية: والرؤية الشرعية المعتبرة بالنسبة لمن كان هذا وضعه رؤية من بدأ التكليف معهم، لا من انتقل عندهم لإكمال تكليفه.

✓ لا قائل بصيام أكثر من ثلاثين يوما [٢]، لمخالفة ذلك عنده الشهر العربي

---

(١) الفتاوى: ص١٦٤.

(٢) وقد مر بك أن هناك قائلين بذلك.

الذي لا ينقص عن تسعة وعشرين، ولا يزيد عن ثلاثين بالخبر الصحيح المتفق عليه.

ترجيحنا في المسألة:

وفيما يتعلق بالانتقال من دولة إلىٰ ثانية ومسألة الصيام والإفطار مع تقدم الصائم أو تأخره عن البلد الذي انتقل إليها نؤكد الحقائق الآتية والتي سوف ننطلق لفهم الموضوع ولصحة تنزيل الحكم إن شاء الله تعالىٰ فيما نعتقده.

الأصل الأول: الصيام عبادة جماعية وليس عملا فرديا، لقوله ﷺ: «**الصوم يوم تصومون..**» صوموا لرؤيته.

الأصل الثاني: الفطر عبادة جماعية لقوله ﷺ: «**والفطر يوم تفطرون**».

الأصل الثالث: أن الشهر عندنا في الإسلام لا تتجاوز أيامه الثلاثين، ولا تَقِل عن التسعة والعشرين.

الأصل الرابع: أن الخطأ في بدء الصيام أو الإفطار محتمل ولا يضر؛ لأن الدخول في عبادة الصيام يكون باليقين لا بالظن، ولذلك نهىٰ ﷺ عن صيام يوم الشك، ونبه ﷺ علىٰ احتمال الخطأ والغلط غير المقصود، والذي يتجاوز حدود طاقة المسلم بالقول: «**فإن غُمَّ عليكم..**»، أي فإن حال بينكم وبين الرؤية غيم، وهو تأكيد منه ﷺ علىٰ احتمال عدم صوم أول أيام رمضان الحقيقية، وعدم الفطر في آخر أيام رمضان بسبب الغيم والاستحالة، لا بسبب التعمد وانتهاك شهر رمضان.

الأصل الخامس: تأخير صلاة العيد بيوم أو نحوه لسبب من الأسباب وحاجة من الحاجات جائز لا حرج في ذلك كما وردت بذلك السنن... (الإتيان بالشواهد).

الأصل السادس: إذا اختلفنا في الإمساك والإفطار اليومي فحتما سيقع الاختلاف في آخر الشهر في الغالب.

وعليه نقول: لا يليق الانفراد بالصيام عن أهل البلدة التي يوجد بها المسلم آخر

شعبان وأول رمضان، ولا يجوز له صيام الشك للاحتياط، كما لا يجوز مجاوزة ثلاثين يوما أو النزول عن تسعة وعشرين.

وينبني علىٰ ذلك ما يلي:

إن الانتقال إلىٰ بلد ثان يستلزم الإفطار معهم عند إعلانه لديهم، وفي هذه الحالة:

الحالة الأولىٰ: أن يكون قد صام ٢٨ يوما، فيفطر معهم ويصوم بعد ذلك يوما واحدا لإكمال ٢٩ إذا كان هذه العدد في البلدين معا أو في أحدهما فقط، ولا خلاف في هذه الحالة.

الحالة الثانية: أن يكون صيامه مع البلد الذي أفطر معه ٢٩ أو ٣٠ يوما، فلا شيء عليه؛ لأنه أدىٰ الشهر الشرعي المعتبر، وهذه الحالة الثانية مثل سابقتها لا نعلم خلافا فيها.

الحالة الثالثة: أن يكون يوم الشهر الأخير إن صامه هو ٣١ بالنسبة له، فعليه أن لا يصوم اليوم الذي هو تمام ٣١ يوما بالنسبة إليه، فيفطر دون الإعلان بذلك، ويعيد مع الناس في اليوم الموالي، ومن أهل العلم من يتمسك بالأصل الثاني وهو أن الإفطار يكون مع الجماعة وعظم الناس، وأنه لا يجوز الانفراد بهذه العبادة عن سائر الناس، فيصوم الواحد والثلاثين، فرأىٰ تغليب التوحد علىٰ الانفراد، وهو الأهم عنده، يقول ابن عثيمين: «فإذا قدم إلىٰ بلد قد سبق برؤية الهلال يعني أنه قدم من بلد كانوا قد صاموا قبل هذا البلد الذي قدم إليه بيومين قد صاموا قبلهم بيومين فإنه يبقىٰ حتىٰ يفطر أهل البلد الذي قدم إليهم وإذا كان الأمر بالعكس بأن قدم من بلاد قد تأخروا في الصوم إلي بلاد قد تقدموا فإنه يفطر مع أهل هذه البلاد ويقضي ما بقي عليه من أيام الشهر؛ لأنه لا ينبغي للإنسان أن يخالف الجماعة بل يوافقهم وإذا بقي عليه شي أتىٰ به كالصلاة مثلًا يدرك الإمام في أثناء الصلاة

فيصلي معه ما أدرك ويقضي ما فاته... **وعلىٰ كل حال فإذا كنت في بلد فصم معهم وأفطر معهم**».

ولعل الذي سيزيل الخلاف في هذه الحالة أيضا، اللجوء إلىٰ الحساب الفلكي وتعميم مقرراته علىٰ كل البلاد الإسلامية، وهو الذي لا زال ينادي به كثير من أهل العلم المعتبرين، فإن تم فلا يبقىٰ اختلاف بين البلاد الإسلامية وغيرها من البلاد، ما دامت المطالع قد توحدت في مطلع واحد، والله تعالىٰ نسأل أن يوفقنا إليه إليه ونرىٰ أنه قريب.

وخلاصة الكلام: الحرص علىٰ الوحدة والتوحد مع أهل بلدك أو البلاد التي أنت فيها، فلا يضر الأخذ بهذا الاجتهاد أو ذاك ما دام لا يخرم أصل الوحدة والاجتماع.

المثال الثاني: زكاة الأموال المودعة في البنوك:

ذهب رحمه الله تعالىٰ إلىٰ أن الأموال المودعة في البنوك تجب فيها الزكاة إذا بلغت النصاب وحال الحول، وأما ما ترتب من الفوائد المالية علىٰ هذه الوديعة، فهو ربا لا زكاة فيه وإنما يجب التخلص منه كما يتخلص من المحرمات.

قال رحمه الله تعالىٰ: «إن الأموال المودعة في البنوك ومر عليه الحول، فإنها تجب فيها الزكاة إذا بلغت النصاب؛ لأنها توفر فيها الشرطان المنصوص عليهما في زكاة النقود، وهما: تمام الحول وتمام الملك» [١].

ثم قال بعد ذلك: «أما ما نتج عن ذلك المودع من الربح، فهو ربا ولا شك، وهو محرم كتابا وسنة وإجماعا» [٢].

---

(١) الفتاوىٰ: ص١٦٨.

(٢) الفتاوىٰ: ص١٦٨.

ثالثًا: بلاء المخالفة لمنهج الاتباع:

اجتهد الفقيه الكنوني في إقناع إخوانه الفقهاء بترك بلية التقليد الأعمىٰ، حيث عز عليهم ترك ما نشؤوا عليه، وسووا من حيث دروا أو يقصدوا بين أقوال البشر غير المعصومة ونصوص الشريعة المعصومة، وهذا البلاء وحده كاف للخوف علىٰ صاحبه من مسلكه الذي ورد فيه التخويف: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] قد تولد عنه النفور ممن دعا إلىٰ العروة الوثقىٰ، فكانت السيئة سيئتين، قال رحمه الله: «وكيف يمكن لأهل العلم أن ينفر بعضهم ممن يدعو إلىٰ العمل بكتاب الله الكريم وبالسنة المطهرة، ويسلك السبيل الذي أراده بعض الإخوان من الفقهاء، حيث انتقدوا هذا السلوك الذي يخالف رغبتهم في التقيد بالتقليد الأعمىٰ المحرم كتابا وسنة، وطالما أقنعناهم بأن يراجعوا الأصول التي بنىٰ عليها الفقهاء الكبار رحمة الله عليهم مذاهبهم، فإن وجدوا الفروع موافقة لأصولها فذاك، وإلا فالرجوع إلىٰ الأصل والصواب أفضل من التمادي علىٰ الباطل، ولكنهم لم يقتنعوا بحجة ذلك التقليد، ويزداد العجب عندما نجد أن بعض الإخوان لا زالوا يسيرون في نفس هذا الاتجاه ولو كان مخالفا للمصدرين المذكورين أو لأحدهما حتىٰ صار الناس فرقا مختلفة متناحرين، مع أن دستورهم الخالد هو كتاب الله القائل: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة:٤٩، ٥٠]، والقائل: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨]، والقائل: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ ﴾ [القصص:٥٠] الآية، كما أن حديث رسولهم ﷺ واحد، وهو المبين لكتاب الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وغيرهم عن ابن مسعود ونصه: «إن هذا القرآن حبل الله المتين، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق علىٰ كثرة الرد ... إلخ.

ومن أجل ذلك قال ﷺ: «**تركتكم علىٰ المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»، عصمنا الله جميعا من ذلك، وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»، رواه أبو داود والترمذي.

«ولذلك فإننا ندعو علىٰ سبيل الذكرىٰ جميع إخواننا المسلمين إلىٰ مراجعة ما هم عليه من هذا التقليد بحيث يعرضون أعمالهم وسلوكهم علىٰ كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وعلىٰ حديث رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ، وعلىٰ ما استخرجه السادات العلماء رحمهم الله من ذلك»[1].

وهنا نجده رحمه الله تعالىٰ يناشد ويقدم النصيحة لأهل العلم كما أمر النبي ﷺ بالقول في النصيحة: «**لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

فصدع رحمه الله تعالىٰ بالحق، وجهر بها إعلاما وإعلانا، ولم يسلك بها مسلك السر، إذ أيقن أن نصيحة الخلوات لم تجد نفعا في القوم.

---

(١) الفتاوىٰ: ص٧-٨-٩.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

غلاف كتابه:

الفتاوي

بقلم

المرحوم برحمة الله

محمد كنوني المذكوري

أسدل الله عليه سحائب رحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين



قدم له العلامة الاستاذ عبد الله كنون
الامين العام لرابطة العلماء بالمغرب

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



ملحق
منظومات علمية
للعلامة الحاج محمد المذكوري الزيداني[١]

* نظم في علم أصول الفقه.
* نظم مصطلح الحديث.
* نظم مختصر في علم البلاغة.
* قصيدة تحت عنوان: النصيحة.
* قصيدة تحت عنوان: ابتهال.
* قصيدة تحت عنوان: الحج .
* قصيدة تحت عنوان: أسقام.
* قصيدة معارضة الشاعر الشيخ سيدي عبد الرحيم البرعي رحمه الله.
* مقالة من هدي القرآن، تحت عنوان: المواجهة .
* كلمة تأبينية للفقيه المذكوري في حق الشيخ محمد المختار السوسي .

(١) هذه المنظومات أثبتها كما سلمنيها السيد الفاضل عبد السلام المتوكل عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر حفظه الله وجزاه كل خير. وقد روجعت عليه من أجل التصحيح والتصويب، فجزاه الله خيرا.

نظم في علم أصول الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه.

مقدمة

يقول من سطر بالبنان — محمد المذكوري فالزيداني

الحمد لله الذي ألهما — صلىٰ علىٰ رسوله وسلما

وآله وصحبه الأصول — لنشر هذا الدين للفصول

وبعد لما قدر منَّ الإله — علىٰ عُبيده ومن والاه

بدرس في الأصول للإخوان — طلبةِ العلم لهذا الشان

سألوا أن أنظم في الأصول — ورقاتِ الإمام للتحصيل

أجبتهم بالعجز والقصور — أيصعد العاطل للقصور؟

أيضبط القاصر مثلي دون مينْ — وبنظم متن إمام الحرمينْ؟

لكن حسن القصد في السؤالِ — ألزمني القبول في المآلِ

وربما زدت من الفرائدِ — ما زين الجيد من القلائد

وعليه سبحانه اعتمادي — وفي المشاكل به أنادي

الأصل والفرع

اشتملت في ذا علىٰ الأصولِ — أحكامها تعرف من أصول

أُلِّفَ من جزءين مفردين — عليه يبنىٰ غيره في الحينِ

والفرع عكسه علىٰ الغير بُني — فلتعرف السر في ذاك يا بُني

فالفرع كالفرع من الشجرة — والأصلُ كالأصل في الأرض مُثْبت

والفقه جا معرفةَ الأحكام — شرعيةً أتتنا في إِحكام

لها طريق يدعىٰ الاجتهاد — وأحكامٌ هنا فيما يرادُ

واجبٌ ما في فعله ثوابُ / وعلىٰ تركه يأتي العقابُ
ومندوبٌ في فعله ثوابُ / أيضا ولا في تركه عقابُ
ومباح لا ثوابٌ ولا عقابْ / ومحظور ما علىٰ تركه ثوابْ
ولكنه معاقبٌ مَنْ فَعَلَهْ / فاهجره واهجر كل من قد جعلهْ
ومكروهٌ فيه ثواب التركِ / وليس في أفعاله ما يبكي
وصحيحٌ يصحبه النفوذُ / وبه يعتد الذي يلوذُ
وباطلٌ بعكسه قد قالوا: / ذي سبعةٍ أتىٰ بها المقالُ
والفقه في الشرع هنا أخصُّ / من علم هذا ما عليه نصوا
والعلم ذا معرفة المعلومِ / بإمكانٍ لواقعِ مفهومِ
والجهل عكسه فذا تصورُ / شيء علىٰ خلاف حالٍ يخبرُ
وقد غدا العلم الضروري التالي / ما ليس عن نظرٍ واستدلالِ
كبصر من الحواس الخمسِ / شمٍّ وسمعِ مع ذوقٍ لمسِ
وعكسه المكتسبُ الموقوفُ / عن نظرٍ واستدلال حليفُ
ونظرٌ هو فكر في حالْ / نظره يؤدي ما في البالْ
والاستدلال طلب الدليلِ / ونظرٍ وهذا من قبيلِ
والدليل المرشد للمطلوبِ / بطريق الإرشاد للمرغوبِ
والظنُّ تجويزٌ لأمرين أتىٰ / لكنْ هذا أظهر من ذا يا فتىٰ
والشك تجويزُ كلا الأمرينِ / علىٰ التساوي خذه دون مينِ

أصول الفقه

أصوله طرقه إجمالا / مع كيفية بها استدلالا
ومن أتىٰ باستدلالٍ يصولُ / ثلاثةٌ أتت بها الأصول

وأبـوابُ الأصـول أقـسامُ الكـلامْ والأمـر والنهـي وخاصـه وعـامْ
مُبـيَّنٌ وظـاهرٌ ومجمـلُ ومثـلُ ذا في حكمـه المـؤولُ
وأفعـالٌ وناسـخٌ منسـوخُ وإجمـاعٌ ممـن لهـم رسـوخُ
كأخبـارٍ وقيـاسٍ إباحـة وحظـرٍ وترتيـب الأدلـة
وصـفة المفُتـي كـذا المُستفتي فقـد طغـا تهـاونٌ عـن نعـتِ
وأحكـام المجتهـدين أمّـا أقـسام ذا الكـلام خُـذ مـا تـمَّ
أَقَـلُّ مـا أُلـف منـه اسـمانِ أو اسـم مـعْ فعـلٍ كجـا الزيـدانِ
أو فعـلٌ مـع حـرف أو اسـمٌ حـرفُ ضَـعُفَ ذا كمـا رآه الطـرفُ
وكـلامٌ إلـىٰ أمـرٍ ينقـسمُ مـع نهـي وخبـرٍ يبتـسمُ
واسـتخبارٍ كهـل وأيـضا يُقْتَـسَمْ إلـىٰ تمـنٍّ ولعـرْضٍ وقَـسَمْ
ومـن وجـهٍ آخـرَ للحقيقـة اعتمـادٌ في موضـوعِ طريقـة
وقيـل مـا اعْتُمـدَ فيمـا اصـطُلحا عليـه مـن تخاطـبٍ قـد وَضَـحا
وللمجـاز وهْـو مـا تعـدىٰ بـه علـىٰ موضـوعه فنـدَّ
وقُـسمت مـسألةُ الحقيقـةِ إلـىٰ شـرعية إلـىٰ عُرفيـةِ
أو تنمـي لا لغـةَ والمجـازُ يكـون بالزائـد كـي يمتـازُ
حينـا علـىٰ بـشاعة الحقيقـةِ وقـد يـأتي في أثـواب البلاغـةِ
كالكـاف حيـث أوهمـت مُحـالا لـيس كمثلـه شـيء تعـالىٰ
وللـسعد اعتـراضٌ في الزيـادةِ فـانظره؛ كـي تفـوز بالريـادةِ
وبـنقصٍ يكـون مثـل واسـألِ القريـةَ أي أهلهـا فامتثـلِ
وتـارةً بالنقـل مثـلَ الغـائط لخـارج مـن بـشر فهـابطِ
وباسـتعارة عليـه حَـضَّ كجـدارٍ يريـد أن يـنقضَّ

الأمر

وإنمـــا الأمـــر طِـــلاب الفعـــلِ   مـــن الأعلـــىٰ لأســـفلٍ بـــالقولِ
فرضـــا بـــصيغةٍ كمثـــل افعـــل   كـــإطلاق ولا قرينـــةٍ تلِـــي
لا في عكـــسه ولا مـــساوٍ فـــاعلمِ   وإطـــلاقٍ للـــسبكي والغيـــرِ نُمـــي
لكـــنْ إذا مـــا دلنـــا الـــدليلُ   علـــىٰ نـــدب أو جـــواز نميـــلُ
لا يقتـــضي التَّكْـــرَارَ في الـــصحيح   إلا دلـــيلا أتـــىٰ بالتـــصريحِ
لا تقتـــضي التـــأخيرَ والتعجـــيلا   خـــلافٌ فيهمـــا هنـــا قـــد قـــيلَا
والأمـــر بالإيجـــاد للفعـــل حُـــتِم   كـــذاك مـــا يُقَدِّمُـــهُ بِـــهِ حُكِـــمْ
كـــالأمر بالـــصلاة فالطهـــارة   داخلـــةٌ في الأمـــر في مهـــارة
ثـــم إذا فُعِـــل فالمـــأمورُ   عـــن عهـــدةٍ قـــد خـــرج المـــأمورُ

الذي يدخل في الأمر والنهي وما لا يدخل

يـــدخل في خطـــاب الله المؤمنـــون   لا صـــبيٌّ ولا ســـاهيٌّ ولا مجنـــونْ
لكونـــه قـــد انتفـــىٰ التكليـــفُ   فانتفـــاء الغيـــرِ لـــه أليـــفُ
وكفـــارٌ مخـــاطبون شـــرعًا   بفـــروعٍ وإســـلام فلترعَـــا
والأمـــر بالـــشيء عـــن الـــضد نَهـــىٰ   كعكـــسه يـــدرك ذا أولـــو النُّهـــىٰ
وقيـــل لا لكنـــه تـــضمنهْ   وقيـــل لا فيهمـــا حـــض لتفهمـــهْ
والنهـــيُ أن تطلـــب تركـــا فرضـــا   مـــن أســـفل منـــك وإن لـــم يرضـــا
وقـــد تـــأتي الـــصيغة للإباحـــةِ   أو تهديـــدٍ أو تكـــوينٍ تـــسويةِ
وامتنـــانٍ وإكـــرامٍ وخبـــرِ   واحتقـــارٍ وإرشـــادٍ فـــاعتبرِ

تعجبٍ وتفويضٍ مشورةِ وتمنٍّ لدينا بنصرتي

العام

والعامُ قد جمعَ الشيئين فصاعدا بلا حصر قرينِ
بعطاء ومنعه الشمولُ في العام ذا الذي به نَقُولُ
من قولهم فقد عممت زيدَا مع عمرو ككل الناس قيدَا
ألفاظه أربعة فالأولُ اسم معرف عليه عولوا
واسمُ جمع معرفٍ باللام وأسماءٌ مبهمةُ الكلامِ
وذا (كمن) عَدُّوه فيمن يعقل (وما) في عكسه كذاكَ يُعقل
وأيٌّ في الجميع أين في المكان ومتىٰ شئتَ حيثُ أيضًا للزمانْ
وما في الاستفهام والجزاءِ تَوَجَّه للخالق في الرجاءِ
وغيره ورابعٌ نكرةُ بعد نفيٍ جا مطلقا قد أثبتوا
وعمومٌ من صفاتِ المنطوقِ بهْ لا معنىَ إلاَّ بمجازٍ فانتبهْ
ولم يَجُزْ في غيره دعوىٰ العمومْ من فعلٍ أو ما جرىٰ مجراه يحومْ

الخاص

والخاص عكس العام في التعريفِ فحده من حده الطريفِ
وتخصيصُ تمييزِ بعض الجملةِ كإخراجِ مُعاهَدًا من آيةِ
وبعضهم قيده قبل العملْ بجملةٍ وإلا نسخًا قد كَمَلْ
وينقسم لمتصلْ ومنفصلْ ولكل حكمٌ فَجِدَّ واحتملِ
فالأول الشرطُ والاستثناءُ وتقييدٌ لصفة قد جاؤُوا
والاستثنا إخراجُ ما لولاهُ لوقع الدخولُ في فتواهُ
وهذا في المتصل الحقيقي وفيه بحثُ السعدِ بالتدقيقِ

وإنما يصحُّ الاستثناءُ ببقاء لشيء فيما جاؤوا

به مما استثنيَ منه فاعلمِ وكن لذا العلم كفرد معلمِ

وشرطه اتصالٌ بالكلامِ لم يصح امتدادٌ من أعلامِ

وجائزٌ تقديمُنا المستثني على الذي استثني منه فاعنِ

كما يجوزُ استثناءٌ من جنسِ كذا من الغير وَهِمْ بالدرسِ

كتقديم الشرط على المشروطِ كإن جاؤوك فأطعمهم ولتعطِ

مقيدٌ بصفةٍ فيُحصلُ عليها ذا المطلقُ كي يُكَمَّلُ

كتقييدٍ بإيمانٍ للرقبة في البعض دون البعض دوِّن سببهْ

يُحمل مطلقٌ على المقيدِ احتياطا من إخلالٍ بمقصَدِ

وتخصيصُ الكتاب بالكتاب يسوغ كالسنة بالكتاب

كتخصيص الكتاب بالسنة وسنة بسنة في المثبت

وتخصيص للنطق بالقياس فاحفظ ولا تكن في ذا بالناس

والنطقُ قولُ الله والرسولِ هما أصلا الفروع والأصولِ

ومجملٌ ما احتاج للبيانِ وذا إخراجُ شيء بالبرهانِ

من حيز الإشكال للإيضاحِ مبينٌ هو نصٌّ يا صاحِ

والنص ما احتمل معنىً واحدا كزيد في القول رأيت زيدا

وقيل ما تأويله تنزيله مُعْتَرَضٌ هنا أتانا قولهُ

وهو مأخوذ من الكرسي لعروس في منظر بَهِيِّ

وظاهرٌ ما احتمل الأمرين وواحدًا ظهرَ دون مينِ

يـــؤول الظـــاهر بالـــدليلِ نـــسميه بـــه وبالتأويـــلِ

الأفعال

فعـل الرسـول إن يكـن للطاعـة ودليـلٌ دل علـىٰ اختـصاصةِ

بـه فيحمـل علـىٰ اختـصاصِ وإلا لا بـدون انتقـاصِ

إن علـمَ النـدب أو الوجـوبُ فواضـحٌ أو خلـف لا يغيـبُ

يحملـه الـبعض علـىٰ الوجـوبِ وَحَمَـل الـبعض علـىٰ المنـدوبِ

وبعـضهم يقـول بـالتوقف عـن فرضـه أو ندبـه فلنكتـفِ

وإن يكـن فعـل في غيـر مجلـسهْ في وقتـه وعلمـه دون ردهْ

كمثـل مـا سـبق في الكـلام[1] يـدخل ذا في حيـز الأحكـامِ

النسخ

والنـسخ جـا في اللغـة الإزالـة وقيـل معنـاه نقـلٌ بَـدَا لـهْ

وحـدُّه مـا قـد دل الخطـابُ علـىٰ رفـع لحكـم لا يعـابُ

كـان تقـدم وكـان ثابتـا علـىٰ وجـه لـولاه كـان ثابتـا

مـع تراخيـه عـن الحكـم الـذي ثبـت بالخطـاب أَوَّلًا خـذِ

وبقـاء الحكـم ونـسخُ الرسـمِ كـضده ونـسخِ كـل حَـسْمِ

يجـوز ثـم النـسخُ قـالوا ينقـسم لبـدل وغيـره فيرتـسمْ

أو للـذي انـشق مـن منـسوخِ أو للـذي أخـفَّ في الرضـوخ

وجـائزٌ نـسخُ الكتـاب بالكتـاب وسـنةٌ بـه وعكـسه صـوابْ

---

(١) أي أن فعل الغير الذي جاء فيه التقرير من غير إنكار بعد العلم به، داخل في باب الأفعال، له أحكامها التي فصلها وأبان عنها، وهي ثلاثة: الفرض، الندب، والتوقف. ولكل أدلته التي اعتمدها فيما نحاه وذهب إليه.

وقيـــل لا وقيـــل بالتخـــصيص بهـا لـه وقـد جـاء بالتنـصيصِ
تــواترٌ كــذلك الآحــادُ نــسخها بالمثــل يُــستجادُ

فصل في التعارض

إذا تعــارض لنــا قــولانِ بعمــومِ أو عكــسٍ يأتيــان
أو واحــدٌ عــم وخَــصَّ الآخــرُ أو كــان مــن وجــه هنــا يُختبــرُ
إن أمكــن الجمــع لَــدَىٰ العمــومِ يَجمــعَ قبــل تــرجيحِ مفهــومِ
وإلا فيهمــا يــأتي التوقــفُ إن لــم يعلــم تــاريخ ذا فَيُعــرَفُ
فــإن عُلــمْ فينــسخُ المقــدمُ بــآخِرٍ كــذا الخــصوصْ يحكَّــمُ
وإن أتــىٰ الخــصوصُ والعمــومُ فتخــصيصُ العــام بــه يــدومُ
إن خُـص مـن وجـهٍ وعـمْ مـن وجـهِ لكــل منهمــا فــذاك وجــهِ
عمــومُ ذا مُخَــصصٌ بــالآخرِ مــعْ إمكــانٍ وإلا تــرجيحٌ حَــرِي

الإجماع

اتفــاقُ الفقهــاءِ الإجمــاعُ في عــصرٍ عــن حادثــةٍ يــذاعُ
وذا بعــد الوفــاة للرســولِ فهــو أصــلُ الفــرع والأصــولِ
شــرعيةٌ واضــحةُ المحجــةِ إجمــاعُ ذي الأمــة عُــدَّ حُجــةِ
بعــصمة الأمــة جــاء الــشرعُ قــد اســتوىٰ أصــلٌ في ذا وفــرعُ
لحــديثٍ هنــا رواه الترمــذي يــصير حجــة علــىٰ البــاقي خــذِ
لا يــشترطْ فيــه انقــراضُ العــصرِ وقيــل شــرطٌ رُدَّ هــذا فــادرِ
يــصح بــالقول وبالفعــل معًــا وانتــشارٍ وســكوتٍ قــد وقعــا
الإجمــاعُ الــسكوتي جــا الخــلافُ مــن خطــأ لِــذَا هنــا يُخــافُ
ولــيس قــولُ واحــدٍ بحجــةِ علــىٰ غيــرٍ ولــو مــن الــصحابةِ

ذكــره الــشافعي في الجديــدِ إن كــان عــن رأيٍ بهــذا القيــدِ

الخبر

وخبــرٌ للــصدق أو للكــذبِ محتمِــلٌ وينقــسم في المطلــبِ
إلــىٰ تــواترٍ إلــىٰ آحــادِ فــأولٌ يجــب العلــم البــادِي
بنفــسه في ذاك كــالقرائنِ أئمــةً قــد قيــدوا بــذا اعــتنِ
فترويــه جماعــةٌ للــصدق تُنْمــىٰ علــىٰ جماعــة للحــقِ
وهكــذا انتهــاءُ المُخْبَــرِ عنــه لــسامعٍ لــذا أو حاضــرِ
وآحــادٌ يوجــب حــقَّ العمــلِ ولـم يوجب علما لخوفِ الخطلِ
وينقــسم لمرســلٍ ومــسندِ وذا لــه اتــصال ذاكَ الــسندِ
ومرســلٌ بعكــسه إن كانــا مــن غيــر أصــحاب النبــي أتانــا
فلــيس حجــةً لنــا في المــذهبِ ســوىٰ مراســيلِ كــابنِ المُــسَيِّبِ
يــدخل في الإســناد حكــم العنعنــة بغيــر تــدليس كــذا اللقــا معــهْ
إن قــرأ الــشيخُ وأنــت تــسمعُ حــدثني أخبــرني لا تمنــعُ
وإن كــان العكــس فقــل أخبــرني فقــط ولا تقــل في ذا حــدثني
ومــنهمُ المجيــزُ للتحــديثِ علــىٰ هــذا جــرىٰ أهــل الحــديثِ
إن أجــاز الــشيخُ بــلا روايــةِ أخبــرَ أو أجــازَ ذا في رتبــةِ

القياس

رَدُّ فــرعِ لأصــله القيــاسُ لعلــة للجمــعِ ذا الأســاسُ
في الحكــم وهْــو لــثلاثٍ ينقــسم لعلــةٍ دلالــةٍ شــبهٍ رســمْ
بــأولٌ علتــه أوجبــتْ حكمــا وثــانٍ مــا عليــه دلــتْ
فهــذا الاســتدلال بــالنظيرِ علــىٰ نظيــره لــذا التقريــرِ

وقيــاسُ الــشبهِ مــا تــرددا ... يُلحــق بــالأكثر شِــبْهًا قــد غــدا

واشــترطوا تناســبًا للفــرع ... مــعْ أصــلهِ في علــةٍ للجمــعِ

كالشرط في الأصــل ثبــوتٌ بــدليلْ ... اتفــق الخــصمان في ذاك الــسبيل

ومــن شــرط العلــة الاطــرادُ ... في معلــول بــلا انتقــاضٍ زادوا

لا في لفــظ ولا في معنــىٰ فــاعترضْ ... بـل يكفـي في الحكـمِ بـأن لا تنـتقضْ

واشــترطوا في الحكــم أن يكونــا ... ممــاثلًا لعلــة وكونــا

وذاك في النفــي وفي الإثبــات ... أو تابعًــا لهــا لــذا الأثبــاتِ

وعلــةٌ جالبــةٌ للحكــم ... والحكــم مجلــوب لهــا بحــتمِ

لعلــةٍ مــع تناســب أتــىٰ ... بارتبــاط بينهمــا قــد ثبتَــا

واختلفــوا في الحظــر والإباحــةِ ... مــا الأصــلُ بينهمــا بُعيــد البعثــةِ

فقــال قــوم بحظــر وقــومُ ... بجــوازٍ لــيس في ذاك لــومُ

إلا إذا أتــىٰ حكــمُ الــشريعة ... بــشيء فاقبلــه واحمــد صــنيعهْ

والــصحيح التفــصيل فالمنــافعُ ... تَحِــل والعكــس حــرام يُمنــعُ

الاستصحاب

واستــصحاب الحــال كمــا سيأتي ... فيــه يحــتج لــدىٰ الثقــاتِ

هــو استــصحابُ الأصــل عنــد عــدمِ ... الــدليل الــشرعي بــلا تبــرمِ

وفي الأدلــة يُقَــدَّم الجلــي ... عند اجتماعهما علىٰ الأمر الخفي

وموجِــبٌ للعلــم قَدِّمْــه علــىٰ ... الموجــبِ الظــنِّ علــىٰ مــا نُقِــلا

والنطــق مــن ســنةٍ أو كتــابِ ... علــىٰ قيــاسٍ قــدِّمْ في الحــسابِ

كتقــديم الجلــي علــىٰ الخفــي ... كعلــة عــن شــبهٍ قــويِّ

فــإن يوجــدْ في النطــقِ مــا يُغَيِّــرُ ... أصــلا فقــد غــدا هــذا يُعتبــرُ

وإلا فالحال هنا يستصحبُ   فعملٌ به هنا يصطحبُ
وشرطوا في المفتي أن يك وَعَا   فقها بأصله وبالفرع معا
وخلافا ومذهبا يكون   كاملَ آلةٍ بما يعينُ
علىٰ اجتهادٍ عارفَ استنباطِ   من نحوٍ أو لغةٍ في احتياطِ
ورجال الإخبار والتفسيرِ   لما أتىٰ من أحكام وغيرِ
وشرط طالبِ الفتيا التقليدُ   يقلدُ المفتيَ لا يزيدُ
وجُوِّزَ الإفتاءُ للمقلدِ   لنقله عن إمامِ مجتهدِ
وليس للعالمِ أن يقلدا   لكونه مُسْتَجْمِعًا مجتهدا

التقليد

وتقليدٌ قبولُ قولِ القائِلْ   وعملٌ به بلا دلائلْ
وما أتىٰ من أقوال الرسولِ   يُقبل تقليدا بلا تفصيلِ
لأنه يقول بالقياسِ   من غير أن يقع في التباسِ

الاجتهاد

والاجتهاد هو بذل الوسعِ   في بلوغِ لغرضٍ من شرعِ
مجتهدٌ ذو صوابٍ أجران   ومخطئٌ أجرٌ بلا عصيانِ
وبعضهم يقول كل مجتهدْ   مصيب في الفروع فاحفظ واستفدْ
يُمنع تصويبٌ لكلِّ مجتهدْ   في أصول الكلامِ فيما يعتقدْ
لكون ذا يؤيدُ الكفارا   من مجوسٍ كذا ومن نصارا
في تثليثٍ وظلمةٍ والنورِ   تبًّا لهم بالنظم والمنثور
وقالوا لا مجتهدُ الفروعِ   مصيبًا ذا لحديثٍ مرفوعِ
فيه الرسول خطَّأَ المجتهدا   كذاك قد صوَّبه فيما بدا

خاتمة

هنـــا انتهـــىٰ رجزُنـــا المقـــصودُ	رائــــــدنا توفيقُـــــهُ المعهــــودُ
مكثـــت في نظمـــي لهـــا يـــومين	بفـــــضل الله القـــــادر المعـــينِ
نـــشكره جـــل علـــىٰ الإنعـــامِ	نحمــــــده في البـــــدء والختــــامِ
في فـــاتحِ مـــن شـــهرِهِ المحـــرم	مـــن عـــام حـــاءين وسِـــشْ واختـــمِ

نظم مصطلح الحديث
للعلامة محمد المذكوري الزيداني

الحمــــد لله العلـــي الـــصمدِ ... ثـــم صـــلاته علـــىٰ محمـــدِ

والآلِ والأصــــحابِ والأتبـــاعِ ... أتـــوا لـــدىٰ الحـــديث بالإبـــداعِ

وبعــــدَ ذا أتيــــت في حــــديثي ... برجــــزٍ في اصــــطلاح الحــــديث

فــــصحيحُ متــــصلُ الإســــنادِ ... لا شـــــذوذٌ لا علــــةٌ تُعــــادي

يرويــــه عــــدل ضــــابط معتمــــدُ ... عــــن مثلــــه في كــــل ذا مــــسددُ

وحــــسنٌ فكالــــصحيح قــــد غــــدا ... ســــوىٰ تمــــامِ الــــضبطِ عنــــه ابتعــــدا

ومــــن غــــدا يفقــــدُ شــــرطًا للقبــــولْ ... لــــصحيحِ وحــــسنٍ لــــه نقــــولْ

ذاك ضــــعيفٌ وهْــــوَ ذو أقــــسامِ ... ومرفــــوعٌ للنبــــي بابتــــسامِ

ومقطــــوعٌ وهْــــو مــــا جَــــا عــــن تــــابعي ... ومــــسندٌ متــــصلُ الإســــنادِعِ

إلــــىٰ النبــــي المــــصطفىٰ ولــــم يُــــبِنْ ... مسلــــسلٌ أتــــىٰ علــــىٰ وصــــف مُبــــينْ

عبــــاراتٍ أو أفعــــالا تمثِّــــلُ ... وصــــفًا ملازمــــا لمــــا قــــد يَمثُــــلُ

كمِثْــــلِ قــــد حــــدثني ويُقــــسمُ ... أو كــــان في حديثــــه يبتــــسمُ

وعزيــــزٌ مــــا قــــد رواه اثنــــانِ ... عــــن مِثْــــلٍ أو ثــــلاثٍ في بيــــانِ

ومــــشهورٌ مــــا كــــان فــــوق مــــا ذُكِــــرْ ... متــــصلٌ مــــا انتهــــىٰ بالــــسمعِ يــــسيرْ

مــــدلَّسٌ أســــقط شــــيخا ونقــــلْ ... عــــن الــــذي فوقــــه جــــاء بالخلــــلْ

أو أثبــــت الــــشيخَ ولكــــن وصــــفا ... أوصــــافَهُ بمــــا فيــــه مــــا عُرفــــا

ومــــا كــــانَ الثقــــةُ فيــــه قيــــدُ ... أو جمــــعٍ أو قــــصرٍ فــــذاك فــــردُ

ومرســــلٌ إن أســــقط الــــصحابي ... وقيــــل لا والخُلْــــفُ في الــــصوابِ

وغريــــبٌ رواه شــــخصٌ مفــــردُ ... ومــــبهمٌ فيــــه أُبْهِــــمَ واحــــدُ

وموقــــوفٌ أضــــيف للــــصحابي ... مــــن قــــولٍ أو فعــــل فقــــف بالبــــابِ

معــــنعنٌ مــــسنده بِعَـــنْ لِــذا قــد وجــب اللقــاءُ للـشيخ خُـذَا

منقطـــعٌ ســـقط مـــن رواتـــه راوٍ قبـل الـصحابي مـن خيبتـهِ

والعـــالي فيـــه قلـــة الرجـــالِ وضـــده النـــازل في المجـــالِ

والـــشاذُّ مـــا يخـــالف الثقـــاتِ أو واحـــدٌ أكثـــرُ في الثبـــاتِ

ومقلـــوبٌ أتـــىٰ فيـــه قـــسمانِ في المـــتن أو في الـــراوي يُرسمانِ

ومـا أتـىٰ فيـه الغمـوضُ والجفـا مُعَلَّـــلٌ عنـــدهمُ قـــد وُصـــفا

مختلــــفٌ في المـــتن أو في الـــسندِ مــضطربٌ عنـــدهمُ فاســـتفدِ

مـــدبجٌ مـــا قـــد روىٰ القـــرينُ عـــن مثلـــه فالكـــل يـــستعينُ

ومـــدرج في ســـند ومـــتن جـــاءت فيـــه زيـــادةٌ في ذيـــنِ

متفـــق لاتفـــاقِ الأســـماءِ في اللفـــظ للـــرواة للأنبـــاءِ

مفتـــرق لاخـــتلافِ الأشـــخاص والمعنـــىٰ صـــاحِبُهُ في انتقـــاصِ

مؤتلـــف متفـــق الخـــط دُعـــي وضـــده مختلـــف كـــذا فَـــعِ

ومنكـــر مـــا قـــد روىٰ الـــضعيفُ تَخَالُفًـــا لثقـــةٍ يُـــضيفُ

ومتـــروك مـــا قـــد روىٰ منفـــردُ مـــتهَمٌ أو فاســـقٌ مُبتعِـــدُ

وكـــذبٌ علـــىٰ رســـول الله تَعَمُّـــدًا فموضـــوعُ الـــشفاهِ

قـــد انتهـــىٰ نظـــم الفقيـــر الفـــاني مَحمـــدٌ المـــذكوري فالزيـــدانِي

في فـــاتح مـــن عـــامِ حَ فأثبـــتِ مـــع ثمـــانين وســـش ومائـــةِ

قـــد اختـــصرته هنـــا للـــسائلِ بقـــصد حفظـــه لِـــذِي المـــسائلِ

فأســـألُ النفـــعَ بـــه علـــىٰ الـــدوامْ أَرجـــو لـــه حُـــسن ثـــوابٍ في الختـــامْ

نظم مختصر في علم البلاغة
للعلامة محمد المذكوري الزيداني

جاء في بداية النظم وقبل الشروع فيه: هذا نظم مختصر طلبه بعض الإخوان عند الدراسة لكتاب البلاغة الواضحة، فأسعفت طلبهم وإن كنت دون اعتقادهم، فلهم الفضل أولا وآخرًا في إبراز ما ذكر، عسىٰ أن يستفيد منه الجميع بحول الله وقوته، أصلح الله حال الجميع.

الحمد لله الذي قد أنعما ... صلىٰ علىٰ رسوله وسلما
وآله وصحبه الأبرار ... أهل البلاغة والاختصار
يقول راجي رحمة الرحمن ... محمد المذكوري فالزيداني
ذا رجز نظمته مختصر ... علىٰ ضرور فمنه اقتصرْ
طلبه الإخوان في الدراسة ... لكتاب البلاغة الواضحة
فاستحسنوا أسلوبها للفهم ... فسألوا تقريبها بالنظم
ليجمعوا الحفظ إلىٰ المفهوم ... كالشأن في التقريب للعلوم
قد عانقَ البلاغةَ الأسلوبُ ... كأنه من رقةٍ يذوبُ
في اللفظ والمعنىٰ وفي الشواهد ... كأبكارٍ مجلوةٍ نواهدْ
زها به البليغ والأديب ... كعاشق في الروض يستطيب
من الروائح ومن ألوان ... تفتحت كلها في أوانِ
أجبتهم له ولست أهلا ... فمرحبا إذًا وسهلا وأهلا
مقتصرا فيه علىٰ القواعدْ ... لما احتوت عليه من فوائدْ
مع بيان ناسب المقامَا ... ومعرضا عن خلاف قد قاما
وحينا أسكتُ عن التعريفِ ... لما بدا في النحو والتصريفِ
وربما زدت من الأصولِ ... ما دعت الحاجة من فصولِ

فطـــورًا بالعبـــارة الـــصريحة وطـــورا بالإشـــارة المليحـــة
أرجـــو بـــه مـــن الإلـــه نفعًـــا وإخلاصـــا لوجهـــه في الرجعـــىٰ

الفصاحة

حقيقـــــة الفـــــصاحة البيـــــانُ تبـــــدو بـــــه كأنهـــــا عقيـــــانُ
وهْـــــي في المفـــــرد والكـــــلام تـــــأتي وفي النثـــــر وفي النظـــــام
فـــصاحةُ المفـــردِ يـــأتي ســـالمَا مـــن النفـــور مـــن غرابـــة كمَـــا
مـــن المخالفـــة للقيـــاس وهكـــذا تُبنـــىٰ علـــىٰ أســـاس
فـــصاحة الكـــلام في الوضـــوح ســـهولةً في لفظـــه الـــصريحِ
يكـــون خاليـــا مـــن التعقيـــدِ ومـــن تنـــافر فـــجٍّ عنيـــدِ
وضـــعفُ تـــأليف لـــدىٰ الأســـاس كمـــا يجـــري في ذا القيـــاسِ
وللـــذوق الـــسليمِ شـــأنٌ عـــالِي يـــصعد بـــالكلام للمعـــالِي

البلاغة

إن طـــابق الحـــالَ البلاغـــة تكـــون في الأســـماع مستـــساغة
عذوبـــةٌ في اللفـــظ والمعـــاني فـــصيحةٌ التركيـــب والبيـــانِ
مـــع مراعـــاةٍ لمـــا قـــد قـــالوا كـــل كـــلام فلـــه مقـــالُ
تثبنـــىٰ علـــىٰ الفـــصيح مـــن كـــلامِ تبعـــد عـــن مواقـــع الكُـــلام

الأسلوب

وبعـــدها ينقـــسم الأســـلوب إلـــىٰ ثلاثـــةِ لهـــا ضـــروبُ
علمـــي أو أدبـــي أو خطـــابي أحكامهـــا تبـــرز مـــن خطـــابي
فـــأول ذو منطـــق ســـليم وفكـــر في البيـــان مـــستقيم
لكونـــه يبـــين الحقيقـــة ويـــشرح المعـــانيَ الدقيقـــة

يحتـــاج للبيــــان والوضــــوح ... وحجـــج تبـــدو علـــىٰ الـــصروح
والأدبـــــي يحتـــــاج للخيــــال ... والتـــصويرُ الـــدقيق في المقـــالِ
يبـدو بـه المعنـوي كالمحـسوس ... وقـــد زهـــا في الثـــوب كـــالعروسِ
والتــــشبيهُ الرابــــع في الأشـــياءِ ... وفي الـــسلاسة كـــسير المـــاءِ
وفي الخطــــابي قـــوة المعــــاني ... في ألفــــاظ وحجــــج برهـــانِ
وقـــوة العقـــلِ الخـــصيبُ المقتنـــعْ ... ممـــا يبـــدي إبـــرازه للمـــستمعْ
ترنـــو لـــه النفـــوسُ والعقـــولُ ... يـــستنهض الهمـــم إذ يقـــولُ

علم البيان

ينحـــصر البيـــان في الثلاثـــةِ ... فتـــشبيه ومجـــازٍ كنايـــةِ
تـــشبيهك الـــشيء بـــآخر اشـــتراكْ ... شـيئين في معنـىٰ لـه بـذاك احتكـاكْ
ثـــم أداتـــهُ مثـــلٌ وكـــافْ ... كـــأن والـــشبَه لـــذا يـــضافْ
وأركـــانُ التـــشبيه خـــذ مـــا يـــأتي ... مـــشبه بـــه مـــع الأداةِ
إن ذكـــرت أداتـــه فمرســـلُ ... وقـــل في وجـــهِ شـــبَهٍ مُفـــصلُ
مؤكــدا إن حـــذفتَ قـــد نقلـــوا ... أو حـــذف الوجـــه فـــذاك مجمـــلُ
إن حـــذفا معـــا فـــذا البليـــغ ... فيبـــدو مـــن ألفاظـــه النبـــوغُ
إذ هـــذا أعلاهـــا كزيـــدٍ أســـدُ ... وأدناهـــا الجمـــع بنقـــل ســـددوا
هنـــا كـــلام الـــسعد في المفتـــاح ... مخـــالف للـــبعض مـــن شـــراح
كـــالخلف في مطـــول والمختـــصر ... وصـــاحب الأطـــول عنـــده نظـــرْ
في أقـــوال الـــسير في التنبيـــه ... عـــن صـــورةٍ مـــن صـــور التـــشبيهِ

التشبيه التمثيلي

إذا أعثـــرت الوجـــه تمثـــيلا بـــدا ... منتزعـــا ممـــن في ذا تعـــددا

وصــفٌ مركــبٌ في ذاك جــاري كتمثيـــل اليهـــود بالحمـــارِ

تبــدو بـــه صــفةٌ أو صــفاتُ في شــركة بــين شــيئين بــاتُوا

وغــرُ تمثيــل إذا الــشرط اختفــىٰ تــشبيه صــورة رآهــا فــاقتفىٰ

بأختهــا مــن الخيــال أردفــا والتــشبيه الــضمني كــذاك عُرفــا

التشبيه الضمني

بكونـــه مغـــايرُ الأســـلوب بـــل يلمحـــان معـــا في التركيـــب

فـــسره في الطـــرفين يكمـــنُ والحكـــم في مـــشبه ذا ممكـــن

والغـــرض الرغبـــة في الخفـــاء ليحـــسن التـــشبيه بالثنـــاءِ

التشبيه المقلوب

إن عكـستَ التـشبيهَ فـالمقلوبُ مـــدعيا بأنـــه المطلـــوبُ

يبـــدو مـــشبَّهًا مـــشبِّهًا بـــهِ لـــيس محـــالا هـــذا ذق وانتبـــهِ

مظهـــرةٌ أتـــىٰ مـــن الإبـــداعِ تفـــننٌ إلـــىٰ الثنـــاءِ داعِ

كالـــصبحِ في طـــرة ليـــل مـــسفرْ كأنـــه غـــرة مهـــر أشـــقرْ(١)

أغراض التشبيه

وأغــراض التــشبيه تبــدو جمــة أبرزهـــا لنـــا فحـــول الأمـــة

فقـــد بـــدا نثـــرهم كالجمـــان وشـــعرهم كالـــدر والعقيـــان

كالاســـتغراق وبيـــان الحـــال وبيـــان المقـــدار بالمثـــال

وتقريـــرٌ للحـــال والتـــزيين أو تقبـــيحٍ لمـــشبَّهٍ مُـــشين

---

(١) ورد في الهامش: ليس هذا البيت للناظم.

وجلهـــا يرجـــع للمـــشبه	فكـــن لحكمـــه أخـــا تنبيـــه

بلاغة التشبيه

إن رشـــحوا بلاغـــة التـــشبيه	لـيس لهـم في القـوم مـن شـبيه
قـد قبـسوا مـن أنـوار القـرآن	ومـن حـديث للمثـاني ثـاني
بألفـــاظٍ تـــسيل بالبيـــان	وأشـــعار رقيقـــةِ المعـــاني
بلاغـــة التـــشبيه في انتقـــالِ	مـن شـيءٍ للمثـل لـدىٰ المقـالِ
أو صـــورةٌ بارعـــةٌ تمثلـــهُ	إن زاد في المعنـىٰ فـذاك أمثلـه
قـــصد للإيـــضاح والبيـــانِ	وتقريـب الـشيء إلـىٰ الأذهـان

الحقيقة والمجاز

قـد ودعنـا التـشبيه في المجـاز	إلـىٰ الحقيقـة مـع المجـاز
فـالأول الحقيقـةُ المـستعملة	تخاطبـا في معناهـا وضـعت لـهْ
والمجـاز المـذكور هـو مـا أتـىٰ	في غيـر وضـعه لـشيء ثبتـا
لِعُلقـة مـع قرينـة أتـتْ	مـن معناهـا الحـق لـشيء قـد ثبتْ
قـد تكـون العلاقـة المـشابهة	وقـد تكـون غيرهـا لتفهمـهْ
وقـد تـأتي قرينـةٌ لفظيـة	وطـورا قـد تبـدو في ذا خاليـة

الاستعارة التصريحية والمكنية

مـن المجـاز اللغـوي اسـتعارة	بتـصريح فيهـا أو الكنايـة
وهْـي تـشبيهُ لـذاك حـذفا	أحـدُ طرفيـه لـشيء عرفـا
وذا ادعـاء أنـه المـشبه	وهـذا أبعـد مـدىٰ رأيتـه
علاقـةً لهـا هـي المـشابهة	وهـي قـسمان هنـا لتعرفـهْ
مـشبه بـه إذا مـا رسـما	فهـا ذي تـصريحية فلتعلمـا

وإن مشبه به قد حذفا وأتى رمزه بشيء أُلفا
كأنشبت أظفارها المنية وهذه كليةٌ عينيه
وما هنا فمذهب للسلفِ وما خلا غيرُه من تعسفِ

تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية

أصلية إذا كان اللفظ الذي جرت فيه من الجمود فاحتذِ
إن كان مشتقا فيها أو فعلا فهاذي تابعيةٌ كنْ سهلا
فمشتق نحو جليل عملك ناطق بالفضل فأهنا بأملك
وفعلا عضنا دهرٌ بنابهِ قهَرَنا من لم يكنْ بِنَابِهِ[1]
مكنيةٌ قرينة ملازمة مهما يك الظلم فكن مقاومه

تقسيم الاستعارة إلى مرشحة ومجردة ومطلقة

فالأُولى ما أتى الملائمُ لمشبهٍ به هما توائمُ
وإن أتى ملائم المشبهِ فهذي جردها بلا منبهِ
لا تعتبرُ ترشيحا أو تجريدًا إلا بعد استيفائها المزيدَا
وإن أتت عاطلةُ الطرفينِ مطلقة هذي بدون مينِ
وقد قالوا بلغها المرشحةِ وذات إطلاق من المجردة

الاستعارة التمثيلية

تركيبُ قد سطرته في غير ما قد وضعوا له ولا له أنتما
لأجل علة هي المشابهة مع قرينة أتت لتمنعه
مِن معناها الأصلي فتمثيلية فيها انتزاعُ لا تنس القضية
تقدمت في التشبيه التمثيلي فراجع الأمثال بالتفصيل

---

(١) قوله بنابه: الأول من الأنياب، والثاني من النباهة.

بلاغة الاستعارة

لهـــا بلاغـــة كمـــا التـــشبيهُ ... يعلـــم ذا البليـــغ والنبيـــهُ

بلاغـــة لهـــا مـــن اللفـــظ يُـــرىٰ ... تركيبهـا عـن تناسـي الـشبه جـرىٰ

مـــن ذاك تـــأتي صـــورة جديـــدة ... في روعـــةٍ وحلـــة فريـــدة

ثـــم بلاغـــةُ في الابتكـــار ... وروعـــةُ الخيـــال باختـــصارِ

لهـــا رجـــال الـــذوق والإبـــداعِ ... ومـن لهـم في الفـن طـولُ البـاعِ

وهـــي أبلـــغ مـــن التـــشبيه ... البليـــغِ للـــسابقِ في التنويـــهِ

المجاز المرسل

مـــن علاقـــات المجـــاز المرســـل ... كليـــة جزئيـــة في العمـــلِ

مـــسبب ســـبب اعتبـــار ... مـــا كـــان أو يكـــون ذا اختبـــارِ

والحـــال والمحـــل والأمثـــالِ ... تبـدو لـدىٰ الـذكر كمـا الهـلالِ

والمجـــاز المرســـل كـــل كلمـــة ... اســـتعملت في غيـــر معنـــىٰ ثمـــة

لهـــا علاقـــة غيـــر المـــشابهة ... مـــعْ قرينـــةٍ أتـــت لتمنعـــهْ

مـن المعنـىٰ الأصـلي خـذ وصـيتي ... دافـع عـن الأخـلاق والـشريعةِ

فقـــد تغربـــا في ذا التـــاريخ ... وعـــوض الناســـخِ والمنـــسوخِ

المجاز العقلي

المجـــاز العقلـــي إســـناد العمـــلْ ... أو شـــبهه لغيـــر مـــا عليـــه دلْ

لعلقـــة مـــع قرينـــة أبـــت ... مـــن إســـناد حقيقـــي لـــه ثبـــتْ

والإســـنادُ المجـــازي مـــا يكـــونُ ... لأمـــور تـــأتي وتـــستبينُ

لـــسبب الفعـــل أو الزمـــانِ ... أو مـــصدر يكـــون أو مكـــانِ

أو إســـناد المُنـــىٰ للمفعـــولِ ... لفاعـــل كـــالعكس في المنقـــولِ

بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي

وذي بلاغـــةُ المجـــازِ المرســـلِ والمجـــازِ العقلـــي عـــن ذا فَـسَلِ
كلاهمـــا يؤديـــان القـــصدا بإيجـــازٍ مبـــالغِ قـــد سُـــدّىٰ
إلـــىٰ البلاغـــةِ مـــن الإبـــداعِ مهـــارة حـــسنة الإيقـــاعِ
كلاهمـــا مـــن إيجـــازٍ مبالغـــة يحـــسنان اللفـــظ والمعنـــىٰ معـــهْ
وأنكـــر الـــسكاكي ذا المجـــازا ورده ردا هنـــا مـــنْ فـــازا

الكناية

إطـــلاق لفـــظ وبـــه أريـــدا هـــو لازمٌ معنـــاه زيـــدا
كنايـــة تقـــسيم في الكـــلام هنـــا إلـــىٰ ثلاثـــةِ أقـــسامِ
قـــد يكـــون المكنـــىٰ عنـــه وصـــفًا وقـــد يكـــون موصـــوفا دع حيفـــا
وقـــد يكـــون نـــسبةٌ فالـــصفةُ لازمـــةٌ أو لازمٌ قـــد أثبتـــوا
كلـــزوم الـــذاتِ لـــدىٰ الموصـــوفِ كعـــدول عـــن نـــسبة مـــألوفِ

بلاغة الكناية

هـــي مـــن مظـــاهر البلاغـــة بـــل غايـــةٌ فيـــا لهـــا مـــن غايـــة
وتـــأتي قـــضية بهـــا برهـــانِ وذي حقيقـــة بهـــا ســـلطانِ
تـــصور المعنـــىٰ كالمحـــسوس ويرجـــع الغـــامض كـــالملموسِ
مـــن حـــسنها التعـــريض والتمكـــين مـــن إشـــفاء الغليـــل لا تبـــين
مـــن غيـــر أن تخـــدش وجـــه الأدبِ ولا الخـــصوم منـــه كـــن في عجـــب
كـــذاك تعبيـــرك عـــن قبـــيحِ بمـــا تـــسيغ الأذن كـــالمليح[1]
ولا يحـــوم حـــول ذا إلا أســـري كجيـــب وكنـــدي والبحتـــري

(١) في المخطوط: أي المديح

أثر علم البيان في تأدية المعاني

الكلام البليغُ فيه تأتي ... مزخرفا بأنواع الشياتِ
عن المعنىٰ الواحد يستطاعُ ... بتعبيرٍ يأتي له أنواعُ
يتحف سامعه بالروائع ... في صور شتىٰ من البدائع
بتشبيه فيه أو استعارةِ ... أو المجازين أو الكنايةِ
اعتكف عن دروس الأدبِ ... وحصل ما استطعت من نخب

علم المعاني

نودع البيانَ بالبيانِ ... لنعتنق شوقا علم المعاني
ينقسم الكلام فيه الخبرْ ... وإنشاءٍ كذا فبين الأثرْ
فأول يصح أن يقالَ ... لقائل له هنا مقالا
إن كلامك أتىٰ مطابقا ... لواقع تعد فيه صادقا
وإن أتىٰ بغير ذا المطابقِ ... فأنت كاذبٌ بلا تملقِ
والثاني خذ بيانه كما أتىٰ ... فهو عكسُ خبر قد ثبتا
لكل جملة من الاثنين ... من جمل عدوا لها ركنين
فمحكومٌ عليه أو حكم بهْ ... فأول ندعوه مسندا إليهْ
والثاني مسندٌ وما قد زادا ... فذاك قيدا خذ المقادا
ما لم يكن صلةً أو مضافا ... إليه فاز اليوم من قد طافا(١)

الخبر

الأصل في الخبر ما تلقيه ... لغرضين معا للتنبيهِ
إفادة المخاطب الحكم الذي ... أتت به جملته فلتحتذي

---

(١) هذا البيت نظمه رحمه الله تعالىٰ والناس منشغلون بطواف الإفاضة.

فهمـــوهُ فائـــدة للخبـــر والثـــاني لـــيس مثلـــه فـــانتظرِ
إفـــادة المخـــاطبين أنـــه يعلـــم ذا الحكـــم فـــلا يـــشتبهْ
وذا يـــسمىٰ لازمُ الفائـــدةِ وثالـــث قـــد يـــأتي بالعائـــدةِ
لأغـــراضٍ تفهـــم عـــن سـياق فكـــن لـــدىٰ العلـــوم في اشـتياق

أضرب الخبر

ثـلاث حـالات لأضـرب الخبـر مخاطـب خـاليُّ ذهـنٍ قـد ظهـرْ
يلقـــىٰ إليـــه خبـــرٌ مجـــردُ مـــن أداة التوكيـــد لا يحـــددُ
يـــسمىٰ ذا الـــضربِ بالابتـــداءِ والثـــاني ذا تـــرك ذا الأنبـــاءِ
يُريـــد أن يـــصل لليقـــين يحـــسن توكيـــده للتبـــين
طلبيـــا قـــالوا وهـــذا ثالـــثُ صـــفته الجحـــودُ فيـــه يمكـــثُ
فيجـــب الإخبـــار بالمؤكـــد ليعـــدل المنكـــر عـــن معتقـــدِ
وهـــذا مـــا ســـموه بالإنكـــار راجـع في ذا مـا أتـىٰ مـن أشـعار
أدوات كثيـــرة أتـــت هنـــا لتوكيـد الأخبـار خـذها هـا هنـا
إن وأن ونونـــا التوكيـــد وأحـــرف التنبيـــه والمزيـــدِ
وقـــسمٌ أيـــضا وقـــد وأمـــا شـــرطيةً لام ابتـــداء ثـــم

خروج الخبر عن مقتضىٰ الظاهر

إذا أتـــىٰ خبرنـــا كمـــا مـــضىٰ يكـون جاريـا علـىٰ الـذي اقتـضىٰ
ظـاهره وقـد يـأتي العكـس كمـا يلحظـــه مُخاطَـــبٌ فلتعلمـــا
كتنزيـــل الخـــالي لمـــن تـــرددا وغيـــرُ منكِـــر كمُنكِـــرٍ بَـــدا

وعكســـه إذا أتـــت دلائـــلُ تُنقعـــه ولـــيس فيـــه حائـــلُ

الإنشاء

تقـسيم الإنـشاء غـدًا لطلبـي كـذا لغيـره فَجـد في الطلـبِ
فـأول يُـستدعىٰ مطلوبـا بـدَا لـم يـك حاصـلا حينـا وقـد غـدَا
بـالأمر والنهـي والاسـتفهام وبالنـدا تمـنٍّ للتمـامِ
والثـاني مـا لا يـدعي المطلوبـا صـيغه كثيـرةٌ فطوبـا
منهـا مـدحٌ تعجـبٌ والقـسمِ والـذَّمُ أفعـالِ الرجـا تُعلـمِ
وصـيغ العقـود أيـضا ذكـروا وينـصر الله الـذين نـصروا
وذا إنـشاءُ طلبـي أمـرُ كقـول شـيخِ زد علمـا يـا عمـرو
وصـيغ الأمـر هنـا أربعـةُ فعلـه واسـمَ فعلِـه قـد أثبتـوا
والمـصدرَ النائـبَ عـن أفعالـهِ مـضارعا ورثـوه بلامِـهِ
والأمـرُ قـد يخـرجُ عـن معنـاهُ إلـىٰ معـانٍ يـدريهما الأواهُ
كإرشـادٍ ودعـاءٍ بخيـرِ وتهديـد وتعجيـز للغيـرِ
والتمـاسُ إباحـةٍ تـسويه أمنـيكم بطـرف سُـنيه

النهي

للنهـي قـالوا صـفةٌ واحـدة مـضارعٌ ولامـه الناهيـة
والنهـي قـد يُخـرجُ عـن حقيقتـهْ إلـىٰ معـانٍ تأتينـا في حكمتـهْ
كتهديـدٍ وتيئـيسٍ تحقيـرِ ودعـاءٍ وإرشـادٍ للخيـرِ
وتـوبيخِ تمـنٍّ والتمـاسِ يومـا سـتبدون رؤوس النـاسِ

الاستفهام وأدواته

كيـف وأو هـلْ ومـا ومـن متـىٰ إيـاه أيـن أنـىٰ أي كـم ثبتـا

طلبٌ في جميعها التصورُ ... بتعيين المسؤول عنه يُخبَرُ
إلا في هلْ فتكُ للتصريفِ ... وشق همزة لذىٰ الحفيف
لكلها أمثلة مختلفة ... فانظرها في الأصل هنا للمعرفة
فجلبها يصحبه التطويلُ ... نحن إلىٰ اختصارِ ذا نميلُ
تخرجُ ألفاظ ذا الاستفهامِ ... عن معناها الحق كمُستهامِ
لأخرىٰ تستفاد من سياق ... فكن إلىٰ السنة في سباق
كالنفي والإنكار والتقريرِ ... والتوبيخ والتعظيم والتحقير
واستبطاء تعجبٌ تسويه ... وتشويقٌ وتمن لتوليه

التمني

أدواتُ التمني ليت ولعل ... وهل ولو عسىٰ بذا أتىٰ العملْ
إذا كان الأمرُ للاستحالة ... فسميه تمنيًا للحالة
وإن يكنْ حُصوله قد يُرتجَىٰ ... فسميه ترجيا كن ذا حجىٰ

الندا وأدواته

فهمزةٌ وأين وكذا ويا ... ويا أيا ووا تأتي أيضا هَيَا
لطلب كقولنا ادعوه لنا ... قد ذكرتُ أمثلة لها هنا
ويخرجُ النداءُ عن معناهُ ... من طلب يدعو إلىٰ سواهُ
من القرائن ستستفادْ ... يعلمها أديبنا النقادْ
كالزجر والإغراء والتحسر ... فافزع إلىٰ الله تفزْ بالوطرِ
وطرق القصر هنا أربعةُ ... باستثناء ونفي إنما أتُوا
ثم عطف بلا أو بل ولكن ... تقديمُ ما أُخرَ للتفنن
لكل قصر طرفاه فاعلمِ ... فمقصور عليه مقصور نمي

وباعتبـــار طرفيـــه ينقـــسمْ قـــسمين فـــالحظْ إلـيكم يبتـسمْ
وذاك قـصرُ موصـوف علـىٰ صـفة والعكـــس مثلـــه هنـــا لتعرفـــه
كـذا إلـىٰ الحقيقـي والإضـافي فكـن صـدرا وفِـرَّ مـن مـضاف

الفصل والوصل ومواضعهما

الوصـــل عطـــف جملـــة بـــالواو علىٰ أخرىٰ والفصلُ عكس ثـاوي
فيجـب الفـصل مـا بـين جملتـين في ثـــلاثٍ مـــن المواضـــع
أن يربطـــا معـــا بالاتحـــاد كتوكيـــد في العلـــم بازديـــادِ
أو بيـــان لهـــا أو الإبـــدال يعـــد ذا كمـــال الاتـــصال
وإن يكـــن تبـــاينٌ بينهمـــا فـــذا كمـــال الانقطـــاع فاعلمـــا
وإن تكـــن ثانيـــة جوابـــا فـــذاك شـــبه اتـــصال انتـــسابا
ويجـب الوصـل مـا بـين جملتـين في ثـلاث أيـضا فكـن خيـر معـينِ
إن قُصد الإشـراك في الحكـم بـذا أو اتفـــاق خبـــر انـــشا خـــذا
مـــع تناســـب يجـــري بينهمـــا ولـم يكـن شـيء يقـض فـصلهما
أو وقـــع الخـــلاف في المعهـــود وأوهـم الفـصلُ عكـس المقـصود

الإيجاز والإطناب والمساواة

مـــساواةٌ أن تكـــون المعـــاني بقـــدر ألفاظهـــا كـــالميزان
جمـعُ معـانٍ شـتىٰ تحـت لفـظِ قـــد قـــلَّ مـــع إبانـــة بلحـــظ
بـــلا حـــذفٍ في ذا مجـــاز قـــصرِ ثـــم يلـــي مجـــازُ حـــذف فـــادر
بحـــذف كلمـــة فيـــه أو جملـــةِ أو جمـــل كـــذا مـــع القرينـــةِ
وشـــرطه أن يقـــوم الـــدليلُ علـــىٰ حـــذف يحـــسُنُ المقـــولُ
وإطنـــابٌ مـــا زاد لفظـــه علـــىٰ معنـــىٰ لـــه لغـــرض فيـــه جـــلا

يكـــون في شـــتىٰ مـــن الأمـــور كإيـــضاح واعتـــراضٍ تكريـــرِ
وتـــذييلٍ وذكـــر خـــاص بعـــدما أتـــىٰ العمـــوم مـــع عكـــس عُلمـــا
فتـــذييلُ مـــا جـــرىٰ مجـــرىٰ المثـــلِ وعكـــسه ففـــز بنيـــل الأمـــلِ

أثر علم المعاني في بلاغة الكلام

ينحـــصر الأثـــر فيمـــا اكتـــسبوا كـــل مقـــام لـــه مـــا يناســـبُ
ثانيهمـــا يريـــك بـــالقرائن مـــا زاد عـــن وضـــعه مـــن دفـــائن
اقتـــضاها المقـــام والـــسياق وارتـــضتها الأســـماع والأذواق

علم البديع

فبينمـــا قـــد ناغينـــا المعـــاني إذ هجـــم البـــديعُ في أفنـــانِ
فـــامتزج المعـــاني والبـــديعُ وكـــسانا بحـــسنه الربيـــعُ
تـــسيل أزهـــار مـــن المعـــاطفْ تـــشع أســـرارا مـــن اللطـــائفْ
محـــسناتٌ قـــد أتـــت لفظيـــة فيهـــا جنـــاس واقتبـــاس طيـــه
فـــأول تـــشابُهُ اللفـــظ كمـــا اختلـــف المعنـــىٰ وذا نوعاهمـــا
فـــأول يتفـــق اللفظـــان في ذي أمـــور أربعـــة فلتحتـــف
وذاك نـــوعُ حـــروف وشـــكلها ترتيبهـــا ثـــم كـــذا عـــددها
وقـــد ســـموا التـــامَ بهـــذا فـــاكتفىٰ وغيـــره بعكـــسه قـــد عُرفـــا
والاقتبـــاس تـــضمينٌ للـــشعر ولنثـــر في حـــديث والـــذكر
مـــن غيـــر أن يـــدل في ذا أنـــه مـــن الأخيـــرين فاعرفنـــهْ
توافـــق الفاصـــلتين الـــسجعْ لحرفـــه الأخيـــر نثـــرا وقـــعْ
جنبـــه مـــن تكلـــف ووعـــرِ وقـــد قـــالوا أيـــضا أتـــىٰ في الـــشعرِ
ثـــاني المحـــسنات معنويـــة منهـــا الطبـــاق ومنهـــا التوريـــة

فهـــذه أن يـــذكر المخاطـــب ... مفـــردَ لفـــظ لـــشيئين يقـــربُ
هـــذا وذا يخفـــىٰ هـــو البعيـــد ... وذا هـــو القـــصد فنـــستفيدُ
وطبـــاق قـــد شـــمل الإيجابـــا ... والـــسلب لا يخـــشىٰ في ذا حـــسابا
فـــأول قـــد جمـــع الـــضدين ... والثـــاني عكـــسه بـــدون مـــين
ومنهـــا مـــا يدعونـــه المقابلـــة ... إيتـــاء معنيـــين أو أكثـــر لـــه
يـــأتي مقابـــل علـــىٰ الترتيـــب ... وحـــسنها في العفـــو والتقريـــبِ
ومنهـــا حـــسن تعليـــل أن ينكـــرا ... مُخاطَـــبٌ علـــة شـــيء ظهـــرا
وبـــأخرىٰ يـــأتي ذا مُبتكـــرًا ... تناســـبُ القـــصد وحـــسنها تـــرىٰ
كغـــرض يقـــصده اللبيـــب ... وكـــم دعوتـــه فيـــستجيب
ومنـــا تأكيـــدُ لمـــدح يُـــشبهُ ... ذمـــا وضـــده ولا يـــشتبهُ
فـــأولٌ أتـــىٰ لـــه ضـــربانِ ... كعكـــسه يظهـــر ذا بيـــانِ
فـــأول يـــستثنىٰ مـــن صـــفة ذم ... منفيـــةٌ صـــفةُ مـــدح قـــد عُلـــمْ
كإثبـــات لـــصفة المـــدح أُوتـــي ... بالاســـتثناء بعـــدها بـــصفةِ
أخـــرىٰ تليهـــا أيـــضا لامتـــداحِ ... والعكـــس بـــالعكس للافتـــضاح
منهـــا كـــذاك أســـلوب الحكـــيمِ ... كمـــا أتانـــا في الـــذكر الحكـــيمِ
كمـــن تلقـــىٰ غيـــر مـــا ترقبـــا ... مجيبـــهُ عـــن ســـؤال لـــه أبـــىٰ
ثـــم يجيبـــه عـــن ســـواه ... كالنـــد لا إلـــه إلا الله
أو بحمـــلٍ علـــىٰ غيـــر المقـــصودِ ... لـــيس بعـــد الإلـــه مـــن معبـــودِ
لأن ذا أجـــدر بالـــسؤال ... عـــن غيـــر مـــا ذكـــر في المقـــالِ

كيـــسألونك عـــن الأهلـــةِ فلـــتفهم الــسر في ذاك النُّكَــتِ

الخاتمة

والحمــد في الأخيــر مثــل الأول لله ذي الإحــسان والتفــضل

ختمتــه في ثــاني يــوم عيــدِ مــن حجــة وفي كــرب شــديد

فالــدمع قــد جرىٰ علىٰ الخــدود مــن نكــسة أتــت مــن اليهــودِ

وذاك مــن عــام زفَّ[1] لألــف مــع ثلاثمائــة وألــف

فلتــرحم اللهــم حــال ضــعفنا عنــد انهزامنــا وحــال خُلفنــا

ولتطــرد العــدو مــن أوطاننــا ولترفــع المحــن عــن إخواننــا

حتــىٰ نــرىٰ الإســلام في الــصعود هنــا يطيــب لنــا كــل عيــد

(١) أي زف العروس إلىٰ زوجها، كذلك هذه المنظومة زفت إلىٰ طلابها.

قصيدة تحت عنوان
النصيحة [١]

هذه نصيحة من ناظمها مَحمد المذكوي إلىٰ الإخوان من الطلبة وفقهم الله.

إلـيكم بنـي الـدروس مني نـصيحةً ... فـلا تُهملوهـا تُهملـوا في دُنـا الجهـل

هلمـوا إلـىٰ الفنـون عُبـوا رحيقهـا ... وغوصـوا عليهـا واتركـوا الـشكل

ولا تملؤوا البطـون والنـومَ فـاهجروا ... ولا تيأسـوا فاليـأس أقـرب للقتـل

وبـالتقوىٰ زودوا العقـول فتنجحـوا ... وراجعوا درس اليوم جمعا لدىٰ الليل

ودوموا عليها واقتفوا سُبْل من مضىٰ ... من الـدين والعلـوم والفـضل والنبـل

بـذاك سـادوا شـادوا وفـاقوا وأورثـوا ... علومـا وأخلاقـا تتيـه علـىٰ الكـل

وعظِّموا شأن الـدين وانـشروا فـضله ... بـه مزقـوا صـف العناكـب والجهـل

قـد انحرفـوا عـن هديـه وسـلوكه ... ففـاهوا بـلا علـم وتـاهوا بـلا عقـل

لقد فـارقوا صـف الجماعـة وارتمـوا ... في أحـضان كفـر بالأقاويـل والفعـل

وكونــوا جنــودا للإلــه وحزبــه ... تفوزوا لدىٰ الدنيا والأخرىٰ بلا كَـلِّ

---

(١) هذا العنوان اخترته لها، وليس من وضع صاحبها.

صورتها بخط يده رحمه الله تعالى[1]:



شخصية

الإسم: محمد المذكوري العالم والفقيه والأديب الأصيل

قصيدة تحت عنوان
ابتهال[١]

هذه القصيدة كتبت بتاريخ ١٥/ ٠٢/ ٧٣.

وفي مقدمتها: الحمد لله، يقول كاتبه متوسلا، مَحمد المذكوري كان الله له:

ربنـــا أنـــت الواحــــد القهـــارُ … اختــــر لنـــا فــــنعم الاختيـــارُ
لا تُـــزغ القلـــوب عـــن هُـــداكا … ومتِّعنـــا يـــا رب في رضـــاكا
قلوبَنـــا امـــلأ بنـــور حكمتـــك … حتـــىٰ تكـــون مَهَبَّـــا لنفحتـــك
بعــد الــذي أنعمــت مــن إحــسان … يعـــسر عـــده مـــن الإنـــسان
إذ الـــــذي نــــسأله قريــــب … عليــك يــا واحــد يــا مجيــب
هـــديتنا فـــضلا إلـــىٰ الإســـلام … فزودنـــا بـــاليمن والـــسلام
وهـــبْ لنـــا بفـــضلك العلومـــا … وأزحِ الحُجُـــــب والغيومـــا
لنـــا فيـــك الأمـــل والرجـــاء … فهـــب لنـــا الخيَـــر كمـــا نـــشاء
مـــن فـــيض بحـــرك الغزيـــر نغتـــرف … بفـــضل جـــودك العمـــيم نعتـــرف
لـــدُنْك أنـــت الكـــريم الجـــواد … مـــن جـــودك الإمـــداد والإيجـــاد
رحمـــةً منـــك أرجـــو كـــل وقـــت … وجنبنـــي فـــضلا ســـلوك المقـــت
إنـــك رَبُّنـــا الحلـــيم الأكـــرم … إن لـــم تكـــن لنـــا فمـــن ذا يُكـــرم
أنـــت الإلـــه القـــوي المتـــين … فنهتـــدي بـــك ونـــستعين
الوهـــاب الــــرزاق للعبـــاد … فكـــن لنـــا هنـــا وفي المَعَـــاد

---

(١) هذا العنوان اخترته لها، وليس من وضع صاحبها.

صورتها بخط يده رحمه الله تعالى:

الحمد لله يقول [illegible] — محمد المذكوري [illegible]

ربنا أنت الواحد القهار — اختر لنا منهج الاختيار

لا تزغ القلوب عن ذكركا — ووفقنا يا ربنا لرضاكا

فلا تدعنا إلا بنور حكمتك — حتى نكون مهبطا لنعمتك

بحق الذي [illegible] — [illegible] من الإنسان

إذ الذي تفضله قريب — عليك يا واحد يا مجيب

[illegible] تفضلا الإسلام — [illegible] باليمن والصلاح

وهب لنا بفضلك العلوما — وأزح الحجب والغيوما

لنا [illegible] الآمال والرجاء — فهب لنا الخير كما نشاء

[illegible] — بفضل جودك العميم نعترف

لأنك أنت الكريم الجواد — من جودك الإمداد والإنجاد

رحمة منك أرجو كل وقت — وجنبني فضلا مسالك المقت

إنك ربنا الحليم الأكرم — إن لم تكن لنا فمن ذا يكرم

أنت الإله القوي المتين — فنعتصم بك ونستعين

[illegible] للعباد — فكن لنا هاديا [illegible]

قصيدة تحت عنوان
الحج [١]

قصيدة عثرنا عليها كتب في أعلاها: الحمد لله، يقول ناظم القصيدة التالية، مَحمد المذكوري: إنني قلتها بمناسبة... الحجيج إلىٰ بيت الله الحرام، وزيارة قبر رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي تتضمن مصطلح الحديث أيضا.

إليك رسولَ الله طيفا ملبيا ... فحبك في الفؤاد يزكو ويكمن
قد انهالت الأشواق تترىٰ تهزني ... ويذكرك المذكوري دمعا فيُعلن
فشوقي صحيح مرسل لك واصل ... وحبيَ مسند لكم ومعنعن
ومتصل دمعي إليكم مسلسلا ... لمشهور حبي في الوفاء تفنن
وما حسنٌ إلا دعائي ببابكم ... فجاهك مرفوع تناجيه ألسن
ولا زال شأني مبهما لم أبح به ... كذاك وصلي معضل متمكن
ومضطرب فكري يريد زيارة ... فتعترض الأعذار دوني فأفتن
وإنيَ مقطوع هنا ومعلل ... وشاذ عن الرفاق عنهم أطمن
فذا خاطر غريب راود فكرتي ... مدلس بالخداع يوشي ويوهن
ولكن هجري متروك كذا منكر ... عزيز علي أن أراكم فأسكن
وإني مدبَّج وفي الهجر مدرج ... ومنقطع أنادي حينًا تعاونوا
ومؤتلف مع الرفاق موافق ... ومفترق معهم إذ أقر تهاونوا
فهاذي وفودٌ للحجيج مثيرةٌ ... فذا نازل يدعو وعال يؤمن
فمتفق فكري ودمعي ولوعتي ... ومختلفٌ جسمي وعذري وأزمُنُ
فموضوع شأني في الوفاء مشاهد ... فهل أنا مفردًا سأبقىٰ فأحزُن

---

(١) هذا العنوان اخترته لها، وليس من وضع صاحبها.

أريـد ومقلـوب الزمـان يحيطنـي بـأنواع صـرفه أللعجـز أركـن؟
فـلا زلـت موقوفـا إلـىٰ الله أشـتكي ليـسعفني الزمـانُ حينـا فـأذعِن
أمـرغ خـدي في التـراب ببـابكم فطـرفي ضـعيف يرجـوا بـردا يبـين
مـشاهدَ أنـوار تلـوح بـأفقكم فيـا فرحـة لزائـر يـتمكن!
هنـاك أحاديـث الرسـول مفاضـةٌ إليهـا اصـطلاحا مني حينـا يبـرهن
ليمتـزج إلفـان مزجـا في نبعهـا ويـنعش ذاك الـسرُّ روحـي فـتُمعن
في ذي القبة الخضراء بالنور تزدهي ويَعْبـقُ نـشرها علـي فأسـكن
لـدىٰ روضـة فيحـاءَ ضـمت محمـدا سـلاما عليـه بـين شـوق أضـمن
وآلـه والأصـحاب مـن ذي صـبابة فيقتلـه شـوقا وذا القتـل أهـون

آخر ما كتبه: في: ١٣٩٨هـ.

صورتها بخط يده رحمه الله تعالىٰ:

[illegible]

221 1156 64

الجميع 1389

قصيدة تحت عنوان : أسقام

سحاب في العيون أم السراب ... أم الزاج الكثيف أم الضباب؟

أأُلبست عيني الستون عاما ... لباسا لا يُفك له نقاب

أم زار مسكر هينٌ عيني ... فأسكر نورَها فحلَّ العقاب؟

نعم رأت صنوفا من عيوب ... فذا السحاب للأخطا حساب

فيا هوَّهًا على خداعِ ... أتبدو عذْبا إذ أنت العذاب؟

فكنت أنتَ واللسانُ عونا ... على ذاتٍ تئن ولا تجاب

دخلتَ ذاتا تمرح في نشاط ... فاليوم تبدو هدَّدها الخراب

فمن بولٍ طغا إلى عروق ... إلى ضعف على جسم يُذاب

إلى نور العيون إلى عياء ... إلى يأس إلى بأس يعاب

كان البعيد يبدو لي قريبا ... فما لي أشكُّ وهو له اقتراب

أراه في الماضي فردا قويا ... فصار توأمين وذا العجاب

أرى الأشياء ثابتة المباني ... فما لها تدور بها سحاب

ولم يبق انسجام بين عين ... وأرجلٍ فقد حدث اضطراب

وإني راضٍ بالأقدار أرجو ... من الإله لا يقوى الشراب

فأفقد لذةَ العيون يوما ... وأحلى لذةٍ تخفى الكتاب

هو الرفيق من عهد قديم ... إذا غاب الكتاب بدا اكتئاب

يريك صفحةً مُلئت بسر ... وينسخ الخطا عنا الصواب

فإن تعتِب فلا يحفل بسخط ... ولا يغضب وليس له عتاب

خبـرْتُ أصـحابي ففـيهم وقـص ... وذا الكتـاب يزكـو بـه النـصاب
فهـو جنـة الـدنيا بحـق ... فيـه مـا تـشتهي نفـس تَهَـابُ
أيختفـي جمـال الكـون عنـي ... فيغـدو والظـلام لـه إهـاب
إذا سـرَّحتُ في الجمـال طـرفي ... فأُرجعـه وقـد مُلـئ الوطـاب
رسـومٌ فيـه للآيـات تبـدو ... في ألـوانٍ بهـا فِكـر يُثـاب
فبالأبـصار والأفكـار تقـوىٰ ... وتـضعف عنـدما ينـسدُّ بـاب
أيختفـي الجمـال وكـل شـيء ... علىٰ العينين قد ضُرب الحجاب؟
وأبنـاءٌ صـغار حـول وجهـي ... عنـدي الـدنا القـشور وهـم لُبـاب
كـذا ارتـساماتي لـدىٰ وجـوهٍ ... بدت في الدرس يحلو لها الجواب
أمـد كفـا للإلـه حتـىٰ ... يـأتي الـشفا فينقـشع الـسحاب
ويُـصْفي الجـوَّ عـن عيني وديني ... وكـم مثلـي مـن المرضـىٰ يُجـاب
إني ضـيف لـدىٰ رب كـريم ... فيكرمنـي وينـشرح المُـصاب

صورتها بخط يده رحمه الله تعالى[1]:

قصيدة معارضة

قال الفقيه المذكوري: الحمد لله .

قال الشاعر الشيخ سيدي عبد الرحيم البرعي رحمه الله يمدح النحو والشعر كما يُرىٰ ذلك في الأبيات الثلاثة الآتية في مطلع قصيدته في مدح الرسول ﷺ:

كـلام بـلا نحـو طعـام بـلا ملـح ... ونحـو بـلا شـعر ظـلام بـلا صـبح
ومـن يتخـذ علمـا ويُلغهمـا يَعُـدْ ... بـلا رأس مـال في الكـلام ولا ربـح
إذا شـرحوا فـضل العلـوم فـإنني ... غني بفضل النحو عـن ذلك الشرح

... إلخ.

وقلت معارضا له في ذلك:

ومن خصهم بالأخذ قد عُدَّ ناقصا ... من الحسن بل قد عُدَّ أقرب للقبح
فـأين كتـاب الله أيـن فنونـه؟! ... دراسته بالشيخ والحفظ باللوح
تـزود بـه وبالحـديث وغيـر ذا ... من العلم والآداب لا ترض بالنضح
فـذلك رأس المـال والـربح دائمـا ... وما غدا في نحو وفي الشعر والطرح
وأيـن علـوم الـدين والفقـه إذ هُمـا ... أساساه للبنا القوي لـدىٰ الصرح؟
وإنهمـا بـدون علـمِ مـتمِّمِ ... كأنهمـا طيـب تـراه بـلا نفـح
وإنهمـا بالسجع والرجـع في الـوغىٰ ... كنائحـة حـسناء في حومـة النـوح
فجُدَّ وخض بحر العلوم فبعضُها ... يُكمل بعضا؛ كي تفوز بذا النجح
فمـا فـاز أولـو العلـم إلا بجمعهـا ... في ذهـنهمُ والـشعر للـذم والمـدح
قـد ارتقـت العلـوم في قمـم العُـلا ... مـساجلةً تريـد منهـا لـدىٰ الـسفح
ومـا النحـو للعلـوم إلا وسـيلةٌ ... لترقىٰ إليها في الصعود إلىٰ السطح
ومـا الـشعرُ إلا لـذةٌ وفُكاهـةٌ ... يجود خِوان العلم فيه لـدىٰ الرشح

فاغسل بسر العلم قلبك جاهدا ... وهل يستوي الشيئان بالغسل؟
علىٰ أنه يسمو إذا القصد قد سما ... فقد كان مثل السيف للدين والرمح
فخذ حسنا من كل فن فإنه ... يكون بذا كالنور يضحك في الصبح
فنقب عن التاريخ تعلم نصيحتي ... وتَعْرِفْ إذًا مذاهب القوم بالشرح
نصحتك في قولي وتجربتي معًا ... إذا كنت قد رضيت حقا بذا النصح
فبالنحو يُصْلَحُ اللسان من الخطا ... ولكنه المفتاح قد عُدَّ للفتح
فأعط لكلٍّ حقه وانف قولةً ... تَقَوَّلَها بعضٌ ندبناهُ للصلح
« إذا شرحوا فضل العلوم فإنني ... غني بفضل النحو عن ذلك الشرح»
فما جمعَ النحوُ الجميلُ علومَنا ... مددنا يدًا للشاعر النحوي بالصفح

قال الفقيه المذكوري: أتممت قصيدتنا بقلم ناظمها الفقير إلىٰ الله مَحمد المذكوري كان الله له، آمين.

صورتها بخط يده رحمه الله تعالىٰ[1]:

رد علىٰ هذا القول الشيخ محمد المذكوري ﷺ بالقول:

لعمرك ما شربت الخمرة أصلا	تبا لها ومبتدع الدعاوي
وفي الحديث لا شفاء عليلا	بها بطل الدليل مع الفتاوي

تحرر حسبنا من كل من مبانه — يكون مبرا كالاسم يصحح بالصحيح

فيقف عن التاريخ نعلم تحقيقه — وتحقق اذا ما رأيت الفقه بالشرح

فحنكه في فروع الحياة معا — اوزكنت من رضيت حسابها الربح

مباحث ومجالس الاسلام من احكام — اكلمه الانفتاح فرحتو للفسيح

ملأت بكل حض وراية مولد — نفوسها بعض درسناه للصالح

اذا انهى جوامع العلوم مرتبة — عنى بفضل الشيوخ وللاصح

مما جمع الشعر الجميل على ربنا — من ولد [illegible] مبرا للاشياخ الفحول بالاصح

انتهى مختصرا من فضل العلامة الفقيه الى الله محمد المذكوري كان الله له آمين

مقالة
من هدي القرآن
المواجهة[(١)]

وبعد، فكثيرا ما يبين لنا القرآن الكريم قصة رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام مع قومه، وما وقع فيها من الحوار والجدال بينه وبينهم، فهو يرشدهم إلىٰ الحق الواضح والفطرة السليمة الداعية إلىٰ الاعتراف بالله الواحد الأحد، وعدم الإشراك به، وهم يفرون من الإيمان إلىٰ الكفر والشرك والإصرار علىٰ التقليد الأعمىٰ الذي وجدوا عليه آباءهم، واستعمال التحدي المفضي بهم إلىٰ الهلاك، كقول قوم نوح له عليه السلام: ﴿يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ... إلخ، وكقول قوم هود له عليه الصلاة والسلام: ﴿يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَـا بِبَيِّنَـةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَـارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ... إلخ، وكقول قوم صالح له عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ... إلخ، إلىٰ غير ذلك مما وقع لبقية الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، حيث تنوعت تلك المحاورات، واشتد ذلك الجدال العنيف، في سخرية منهم واستهزاء برسلهم، مما يثبته الله تعالىٰ في غير ما آية، غير أننا نجد من ذلك صورة جماعية فريدة بين عدة من الرسل وبين أقوامهم في صفين متقابلين:

صف كله صدق وإيمان وأنوار.

وصف كله شرك وباطل وظلمات.

وإن الإنسان ليتصور تلك المحاورة حتىٰ كأنه ينظر إليها، ويتشخص الرسل الكرام عليهم السلام وهم صفوة هذه البشرية وهداتها ينصحون ما استطاعوا إلىٰ النصح سبيلا، ويتحرقون لإدخالهم إلىٰ حضيرة التوحيد، والاعتراف بالله وحده،

(١) في صحيفة: الميثاق: بتاريخ ١٥ جمادىٰ الأولىٰ من عام ١٣٩٤ هـ.

وهم في ذلك متراصون ثابتون صامدون في هدوء واطمئنان، تعلوهم الهيبة والجلال والوقار، وتقودهم كلمة الحق إلىٰ ميدان المعركة، والنصر يلوح علىٰ وجوههم المشرقة، بينما يتصور قبالتهم الجفاة الطغاة المتعصبون حانقون ثائرون مضطربون في غير أدب ولا نظام، يلوحون بأيديهم في جرأة ووقاحة، يعلو وجوههم الذل والانكسار، كما جاء في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:٩-١٤].

فليتأمل المتأمل هاته النفوس الطيبة الكريمة التي تكاد تدوب أسفا وحزنا علىٰ مصير هؤلاء المنحرفين المكذبين المقلدين الجامدين، وعلىٰ تلك النفوس الخبيثة الشريرة التي تقابلها بالجفاء والعناد والإصرار علىٰ ما تلقوه من آبائهم الأولين، وليتعمق في تكل المحاورة العنيفة بين صفين متقابلين كما قلنا، صف الرسل الكرام الذي يمثل سائر الرسل الحاضرين وغير الحاضرين، إذ رسالتهم واحدة، وهدفهم واحد، وصف المكذبين الضالين، من حضر منهم ومن لم يحضر، فجوابهم واحد، وهدفهم واحد كذلك.

فهي إذا معركة جماعية وحادة، فقد برز فيها الإيمان كله للشرك كله، وسيكون الحكم فيها هو الله خالق كل شيء، والقادر علىٰ كل شيء جل وعلا.

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الواضحات التي لا تلتبس علىٰ ذي عقل سليم، ودون أن يتأملوا فيها ليتعظوا ويعتبروا شأن المنصف العاقل، ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، فردوا أيديهم في أفواههم، وردوا عليه قولهم تكذيبًا لهم فيما جاؤوا به، وأنهم في شك منه: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾، هكذا قالت لهم رسلهم بمنتهىٰ التقرب والوضوح.

وبعد أن ردوا بتلك الكلمة المألوفة من إخوانهم السابقين واللاحقين: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، وذلك استبعادا منهم لأن تكون الرسل من البشر، كأنهم هم المتحكمون في هذه الأكوان، والمحجرون على البشرية هذه الرسالة السامية، فاعترفت الرسل بهذه البشرية: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، هل نحن إلا رسل حق إليكم: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾، ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، على ما آذيتمونا من كلامكم السيء وأفعالكم القبيحة، فنحن صابرون على إذايتكم؛ لأن طريقنا مملوءة بالأشواك والإذاية: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ﴾.

وهنا تتجلى الغطرسة بأجلى مظاهرها، والقوة الغاشمة في أبشع صورها، لما عجزوا عن قرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، حيث فروا من ساحة المعركة لما أعياهم المنطق السليم، وقامت عليهم حجج الرسل الكرام عليهم السلام، إلى قولهم ولبئس ما قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾، وهذه هي طريقة إخوانهم المكذبين السابقين واللاحقين، وحيث إنهم عجزوا وفقدوا كل حجة تؤيد زعمهم، لم يبق إلا الحكم على العاجزين الذين لم يبق بيدهم إلا التبجح بالقوة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، إذا من هو هذا الحاكم الذي لا يظلم ولا يجور في حكمه بين هذين الفريقين المتقابلين ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ﴾، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ

ﵟالْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَﵞ، الذي حكم بقوله سبحانه: ﵟفَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِﵞ، وصدق الله العظيم في حكمه وفي قوله: ﵟوَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَﵞ، وهكذا انتهت هذه المواجهة الفريدة بنصر الرسل الكرام الأبرار علىٰ أعداء الله ورسله الفجار: ﵟتِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُﵞ.

كلمة تأبينية للفقيه المذكوري في حق
الشيخ محمد المختار السوسي

الحمد لله ، والصلاة والسلام وعلىٰ رسول الله .

كلمة تأبينية [١]: مَحمد المذكوري :

أيها السادة: إننا لنقف اليوم ونجتمع لإحياء ذكرىٰ أخ عزيز، ورجل يعد من الأفراد الذين أنجبهم هذا القطر الكريم، أهل العلم والأدب والوطنية، المنبثقة من روح الدين الإسلامي الحنيف، ذلكم هو المرحوم العلامة السيد محمد المختار السوسي رحمة الله عليه، الذي فقدناه في وقت اشتدت الحاجة فيه إليه وإلىٰ أمثاله من العلماء المخلصين، إننا لنستحضر في هاته اللحظة الرهيبة تلك الروح الطيبة المؤمنة، التي خلقت للعلم وللعلم وحده، تعلما وتعليما وبحثا وإنتاجا، طيلة أيامه المملوءة بالكد والاجتهاد، في نفع الأمة الإسلامية، وإذا كنا فقدنا هاته الشخصية المتعددة الجوانب، فإننا لم نفقد آثارها الدالة علىٰ عظمتها، ما دام في الدنيا علم وإنصاف:

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلىٰ الآثار

نعم لقد ترك لنا ثروة ضخمة تضمحل أمامها جميع الثروات المادية التي يخلفها أصحاب الملايين والقصور، وربىٰ جيلا يعد اليوم من العناصر التي يتكون منها وطننا العزيز، وهذا بعض ما يسلينا علىٰ فراقه، وقد رسم الخطوط الواضحة لمن يروم اقتفاءها، شغف بالعلم والأدب إلىٰ حد لا مطمع فيه لطامع، وهذا هو لب العلا، كما يقول الشاعر معروف الرصافي:

---

(١) أصلها في ثلاث صفحات بخطه رحمه الله، وأخرىٰ مرقونة في صفحتين ـ بدون عنوان ـ (تحت أيدينا)، وقد زودني بها مشكورا ابن الشيخ، السيد رضىٰ الله عبد الوافي المختار السوسي قبل أن ينشرها في كتابه : «لبّ الفوائد فيما قيل في تأبين العلامة رضىٰ الله محمد المختارالسوسي من كلمات وقصائد» .

أرىٰ لب العلا أدبا وعلما بغيرهما العلا أمست قشورا

وانكباب علىٰ الإنتاج والتأليف، الذي يعد فيه فن الرجال القلائل في عصرنا الحديث، وذلك بالرغم مما أصابه من أساطين الاستعمار وأذنابه، من نفي وسجن وتشريد، كما يعلمه الخاص والعام، إلىٰ غير هذا وذاك من العناصر الطيبة التي تكونت منها هاته الشخصية الفذة، لقد زرته رحمه الله في المستشفىٰ قبل وفاته بثلاثة أيام، وهنأته بطبع آخر جزء من كتابه الكبير «المعسول»[1]، فتكلم رحمه الله متأسفا ومتحسرا علىٰ هذا الإهمال الضارب أطنابه بين المثقفين المغاربة، وقائلا: «لو أنهم اعتنوا لوجدوا في بعض نواحي المغرب أكثر مما وجدته بالقطر السوسي»، في كلام طويل، وهكذا كان كلامه في سائر شؤون الإسلام والمسلمين، ثم رفعنا أكفنا إلىٰ الله أن يؤيد هذا الدين وينصر هذا الوطن العزيز علىٰ بل في كفاحه، فودعته بعد أن قطع علىٰ نفسه عهدا بزيارتي بالدار البيضاء، ولكنه ويا للأسف الشديد كان الوداع الأخير، فقد ترك في صفوفنا ثغرة كبيرة لا يسدها إلا التسليم لقضاء الله وقدره.

وبهاته المناسبة، ألتمس من إخواننا العلماء، والأدباء، وجميع حملة الأقلام، أن يوحدوا صفوفهم وقلوبهم وأقلامهم للذب عن هذا الدين الحنيف، والوقوف أمام الإلحاد الجارف، والانحلال الخلقي الزاحف، الذي ورثناه عن الغرب، وبئس الإرث والموروث، وصده عن هذا الجيل من أبناء وبنات الأجيال الآتية، وليت شعري من يتحمل هذا العبء الثقيل، إن لم تتحمله هاته الطائفة الصالحة الغنية بأفكارها وثقافتها، والعالمة بروح الدين الإسلامي وأسراره وتعاليمه، فإننا نرىٰ السكوت قد ألجم الكثير من الأفواه، في وقت زحف فيه المنكر علىٰ هاته الأمة المسلمة بخيله ورجله، حتىٰ صار المنكر مألوفا عند الناس، وتغييره هو

---

(١) الجزء الحادي عشر ـ جامع الكتاب.

الذي أصبح عنهم غريبا، فانقلبت الأوضاع، وكاد كثير من الدين يضيع، أو ضاع، ونحن شاهدون وساكتون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الإخوان: إنه يجب أن يكون النفير عاما، والتجنيد تاما، قبل أن يتسع الخرق على الراقع، بحيث يشمل العلماء في مجالسهم، والأساتذة أمام تلامذتهم، والخطباء في مساجدهم، والوعاظ والمرشدين، وسائر المؤلفين والمنتجين، وأصحاب الجرائد والمجلات، بل وأن لا نقتصر على ما ذكر، بل يجب الخروج إلى الشوارع والمحلات العمومية، لتقال كلمة الله، ولا غضاضة في ذلك كما يراه بعض الإخوان، فهاته أمانة في أعناقنا، يجب أن تقال في كل زمان ومكان، وبلغة أقرب إلى الحزم والقوة منها إلى الضعف واللين، التي يستعملها بعض الخطباء.

أيها السادة: إنني أخاطبكم بأمر تعلمونه، ولكنها الذكرى التي تنفع المؤمنين، ومَن هُم المؤمنون إن لم يكن العلماء في مقدمتهم؟ وبذلك نكون قد سلكنا ما سلكه السلف الصالح، وتتصل حلقات الماضي بالحاضر والمستقبل إن شاء الله، وتكون ذكرى هذا الأخ العظيم هي الأساس لبناء هذا العمل الصالح، وبذلك نكون قد أرضينا الله ورسوله، وأرضينا روح الأخ العزيز الذي اجتمعنا من أجله، ففي الله خلف عنك أيها الراحل الكريم، ثم في هاته الطائفة من إخوانك المخلصين الذين أتوا من كل ناحية، والذين قاموا بإحياء هاته الذكرى؛ اعترافا بحقك، وزيادة في إشهار فضائلك ومآثرك، وتشجيعا لإخوانك في السير على هاته الطريق، التي رسمت خطوطها في حياتك، وتماديت فيها إلى مماتك، ولتكون منة حسنة تقام عندما يلحقك منا لاحق.

فنم أيها الأخ العزيز؛ لتجني ثمرات ما قدمته من جهود لصالح المسلمين والإسلام، نسأله سبحانه أن يتغمدك برحمته، وأن يثيبك ثواب العاملين المخلصين، وأن يلهم إخوانك وعائلتك الصبر الجميل، ونقول امتثالا لأمر رب

العالمين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾، واقتداء برسول الإسلام والمسلمين، تدمع العين ويحزن القلب، وما نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بك يا مختار لمحزونون.

أخوكم مَحمد المذكوري

صورة من اللقاء العلمي الذي نظم من أجل مدارسة جهود الشيخ العلمية والدعوية:



برنامج اللقاء:



يوم الأربعاء 24 ذي الحجة 1434هـ الموافق لـ 30 أكتوبر 2013م ابتداء من الساعة التاسعة صباحا بقاعة المحاضرات بنادي المحامين ببوسكورة



المملكة المغربية
المجلس العلمي الأعلى
الأمانة العامة
المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر

بسم الله الرحمن الرحيم

في رحاب قول الله تعالى:
(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (سورة المجادلة الآية 11)

يتشرف المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر
بدعوتكم لحضور
الملتقى الثاني حول علماء جهة الدار البيضاء الكبرى
في موضوع:
الفقيه العلامة سيدي محمد كنوني المذكوري: جهوده العلمية والدعوية والتربوية

البرنامج

- ※ افتتاح بآيات بينات من الذكر الحكيم
- ※ كلمة ترحيبية لرئيس المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر **الأستاذ العربي الضاوي**
- ※ كلمة فضيلة العلامة الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى **الدكتور محمد يسف**
- ※ كلمة السيد عامل صاحب الجلالة على عمالة إقليم النواصر **الأستاذ لهبيل الخطيب**.
- ※ كلمة السيد المندوب الإقليمي للشؤون الإسلامية بإقليم النواصر **الأستاذ مصطفى الكمرة**
- ※ استراحة شاي مع وصلة من المديح و السماع
- ※ عرض **الأستاذ حسن أمين الهلالي** رئيس المجلس العلمي المحلي لعمالة مقاطعات عين الشق في موضوع (بعض نشاط الشيخ المذكوري في فرع رابطة علماء المغرب بالدار البيضاء)
- ※ عرض **الأستاذ الحسين مفراح** رئيس المجلس العلمي المحلي للمحمدية في موضوع (الفقيه العلامة سيدي محمد المذكوري مدرسا للعلوم الشرعية)
- ※ عرض **الأستاذ عمر محسن** رئيس المجلس العلمي المحلي لعمالة مقاطعات الدار البيضاء أنفا في موضوع (سيدي محمد المذكوري بحلقاته العلمية بمساجد الدار البيضاء)
- ※ عرض **الدكتور القاضي برهون** في موضوع (أخلاق سيدي محمد المذكوري و منهاجه في التفسير)
- ※ عرض **الدكتور أحمد كافي** عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم النواصر في موضوع (الفقيه العلامة سيدي محمد المذكوري حياته وفقهه)
- ※ مناقشة العروض.
- ※ قصيدة شعرية بالمناسبة يلقيها **الأستاذ محمد أيت بيعيش** رئيس المجلس العلمي المحلي لعمالة مقاطعات مولاي رشيد
- ※ تكريم بعض علماء جهة الدار البيضاء الكبرى
- ※ قراءة البرقية المرفوعة إلى السدة العالية بالله مولانا أمير المؤمنين -نصره الله-.
- ※ الختم بالدعاء الصالح لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس -نصره الله-.



فاح العبير

قصيدة نظمها الشاعر أيت بايعيش الدرعي بمناسبة ختام اليوم الدراسي حول الفقيه الكنوني:

فاح العبير :

شعر: أبو عبد الرحمن .

محمد بن أحمد أيت بايعيش الدرعي .

فاح العبير مراشفا قطر الندىٰ — شوقا إلىٰ ناد بربع قد شدا

قد رفرفت أرواحنا وجدا بكم — في رحبه طير تغنىٰ غردا

أهل النواصر ضاع مسكا جمعكم — طبتم وطاب لقاءكم بين الكدىٰ

سعد الأباة السائرون علىٰ التقىٰ — ورثوا المكارم والعلا والسؤددا

سلكوا سبيل العارفين بربهم — ودعوا إلىٰ الله العلي تعبدا

حرسوا الفضائل من تربص مغرض — راموا دفاعا عن شريعة أحمدا

كرم الرجال ديانة وقوامهم — خلق زكا يسع الأقارب والعدا

شرف الأبي مروءة تسمو علىٰ — جاه ومال بعده قد عددا

يا صاح لا تحزن علىٰ زمن مضىٰ — بل كن لمجد طالبا حتىٰ الردىٰ

فالمكرمات بعزمة تأتي وإن — عم الظلام الأفق أو بعد المدىٰ

والمجد ليس يناله ذو علة — أمَّ الشهامة خائفا مترددا

لم يرق درج المكرمات وما درىٰ — أن المعالي حظ من قد كابدا

أخلق بعلم مشايخ تركوا الدنىٰ — عمروا قرىٰ وحواضرا ومساجدا!

أكرم برائد حضرة علمية — كنوني[1] من صيته فاق الصدىٰ!

(١) يقصد الشاعر الفقيه محمد الكنوني المذكوري رحمه الله تعالىٰ.

من ذا الذي ركب الضياء مطية ... أمضىٰ الحياة مقاربا ومسددا؟
ومدرسا للعلم يهفو للذرا ... نعم المدرس للصروح مشيدا
سل فرع رابطة وسل علماءها ... عن جهده وعطائه كم حمدا
وسل الأمين هلاليا[1] عن بعض ما ... أسداه مذكورينا[2] إذ جددا
بل عنه سل مفراحنا[3] وجماعة ... كم جاد بالدرر اللوامع مرشدا!
يخبرك عن آثاره عمر[4] فقد ... شهد الوقائع صاحبا ومعاضدا
سل قاضيا[5] إن رمت ثبتا عادلا ... عن خلقه وطريقه إذ أسندا
أو كافيا[6] عن فقهه وحياته ... كم كان عند نوائب مستأسدا!
يا دار بيضاء ألا تتكرمي؟ ... جودي فقد عجز الزمان وأوصدا
أبوابه، جودي بنحو فقيهنا ... يا فخر من في سيره قد أوسدا
حكم المهيمن بالفناء علىٰ الورىٰ ... سبحانه من واحد قد وحدا
فارحم إله العالمين مشايخا ... في الصالحين جهادهم قد أخلدا

---

(١) يقصد الشاعر ب: هلاليا: السيد حسن أمين الهلالي رئيس المجلس العلمي لمقاطعة عين الشق/ الدار البيضاء، وهو أحد المشاركين في الملتقىٰ العلمي حول الشيخ.

(٢) يقصد الشاعر الفقيه محمد الكنوني المذكوري رحمه الله تعالىٰ.

(٣) يقصد الشاعر ب: مفراحنا: السيد الحسين مفراح رئيس المجلس العلمي لإقليم المحمدية/ الدار البيضاء، وهو أحد المشاركين في الملتقىٰ العلمي حول الشيخ.

(٤) يقصد الشاعر ب: عمر: السيد عمر محسن رئيس المجلس العلمي لمقاطعة أنفا/ الدار البيضاء، وهو أحد المشاركين في الملتقىٰ العلمي حول الشيخ.

(٥) يقصد الشاعر ب: قاضيا: السيد القاضي برهون عضو المجلس العلمي لمقاطعة ابن مسيك/ الدار البيضاء، وهو أحد المشاركين في الملتقىٰ العلمي حول الشيخ.

(٦) يقصد الشاعر ب: كافيا: السيد صاحب هذا الكتاب: أحمد كافي، عضو المجلس العلمي لإقليم النواصر/ الدار البيضاء. وهو أحد المشاركين في الملتقىٰ العلمي حول الشيخ.

وأدم علينـــا الأمـــن في أوطاننــــا   أبـــدا إلـــىٰ يـــوم القيامـــة ســـرمدا
وانـــصر بفـــضلك ربنـــا ســـلطاننا   نجـل الملـوك المنعمـين محمـدا
واحفظـه في ذي عهـد هـو شـقيقه   بجليـل حفظـك بـالكرام مؤيـدا
وسـحائب الغفـران أغـدق راحمـا   بطـلا قـضىٰ لمعمـرين مجاهـدا
واشـمل بعفـوك يـا إلهـي بانيـا   أمـسىٰ رفيـق كفاحـه ومـساندا
ثـم الـصلاة علـىٰ النبـي وآلـه   وصـحابه والتـابعين أولـي الهـدىٰ
مـا أشـرقت شـمس الوصـال بربعنـا   أو هـب داع ناظمـا أو منـشدا

الفهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com